

عبد الكريم الغزالي

Sirot ul-Ghazzālī

سيرة الغزالي

وأقوال المتقِّدِّمين فيه

قدّم له

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني
استاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

دار الفكر بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

استاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

حجة الاسلام ، أبو حامد الغزالي ، من أبرز الشخصيات في تاريخ الفكر الاسلامي ، — بل والعالمي — وأعظمها أثراً في حياة المسلمين العقلية والسلوكية على حد سواء . وعلى الرغم من هذه الشهرة وهذا الأثر لم يدرس من المحدثين بما يتفق مع منزلته ، والكتب التي تناولت جوانب فكره في اللغة العربية قليلة جداً بالإضافة الى تلك المكانة . ولا شك أن البحث الذي يضطلع به الآن الاستاذ عبد الكريم عثمان عن « النفس عند الغزالي » تمهيداً للحصول على إجازة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، سيكون ذا أثر في الكشف عن ناحية من أهم نواحي فلسفة حجة الاسلام . والبحث في النفس هو حجر الزاوية في فلسفة الغزالي ، كما أنه المحور الذي تدور عليه كل فلسفة ، ويقضي الخوض في جميع مؤلفات أبي حامد ، كما يتطلب النظر في سيرته ، للتعريف به من جهة ومعرفة ما كان لحياته الخاصة من أثر في نظريته النفسانية من جهة أخرى .

ومن أجل ذلك بدأ الأستاذ عبد الكريم بالبداية ، فبحث في سيرته ، ما كتبه

حجة الاسلام عن نفسه في المنقذ من الضلال ، وما كتبه المؤرخون وأصحاب الطبقات . ثم جمع مؤلفاته وأحصاها ، ما طبع منها ، وما يزال مخطوطاً .

ولكنه لا يحتاج في مقدمة بحثه عن الغزالي ، وكتابة شيء عن سيرته الى المادة الغزيرة التي ضم شتاتها ، وجمعها من مختلف مظاهرها ؛ ثم رأى أن المؤتمر الخاص بمرور تسعة قرون على ذكرى الغزالي سينعقد في دمشق هذا العام ، فوجد من المناسب أن يطبع هذه المادة مساهمة في ذكره ، ولتكون مرجعاً لمن شاء أن يؤرخ لسيرته تاريخاً جديداً .

★ ★ ★

أقدم من أرخ للغزالي هو عبد الغافر الفارسي ، وكان معاصراً له ، ونقل معظم المتأخرين كلامه إما بنصه ، وإما باختصار . كذلك فعل السبكي في الطبقات ، وابن عساكر في تبين كذب المفتري . وحيث كانت رواية الفارسي على هذه الأهمية ، فقد أفرد لها مصنف هذه السيرة ، وجعلها أول وصف لحجة الاسلام . ثم رتب أقوال القدامى عن الغزالي متسلسلاً بعد ذلك حتى بلغ الزبيدي ؛ وحذف ما نقلوه عن عبد الغافر الفارسي ، اكتفاءً بأفراد ذلك النص في أول الكتاب . وبذلك يكتمل كل ما ذكره القدامى عن الغزالي فيما يختص بحياته أمام الباحثين في هذا الجانب .

وقد وضعنا حجة الاسلام في موقف يتحتم على كل من يريد أن ينظر في سيرته أن ينزله منزلة الاعتبار ، وذلك حين أرخ لنفسه في « المنقذ من الضلال » . حقاً إنه لا يعني إلا سيراً بالإشارة الى حياته الخاصة ، لأنه في المنقذ إنما يكتب السيرة الفلسفية ، وكيف تقلب في المذاهب الفلسفية المختلفة حتى انتهى به الأمر الى اصطناع طريق الصوفية . ولكنه مع ذلك سجل أطرافاً من أحداث الحياة ، وصروف الزمان ، والعلائق مع أصحاب السلطان ومع الناس ، ولو أنه لم يفصح ،

مكتفياً بالتلميح دون التصريح . ولهذا السبب كان المفيد ، بل من الواجب ، أن يرجع المؤرخ الحديث لحياته إلى هذه السيرة الشخصية ، ليرى مدى تطابقها مع ما ذكره قدامى المؤرخين .

ولسنا بصدد الطريقة التي تكتب بها سيرته من خلال « المنقذ » ؛ ولكننا نود أن نعرض الخطوط العريضة التي يمكن في ضوئها تصوير حياة الغزالي ، بحسب روايات القدامى . وهي في نظرنا تقتضي تقسيم حياته إلى المراحل الآتية بحسب إقامته في مختلف العواصم :

١ - حياته في طوس :

وتقسم هذه الحياة مرحلتين ، الأولى أسرته ، وهي مالا نكاد نعلم عنها شيئاً ، سوى أن أباه كان فقيراً لا يملك شيئاً ، ولم يكن شيئاً مذكوراً . والمرحلة الثانية ما تلقاه الغزالي من تعليم شبيه بكافة أبناء المسلمين ، من حفظ القرآن ، وتعلم القراءة والكتابة ، وما يتبع ذلك من بعض النحو ، واللغة العربية ، والحساب . ثم دراسة الفقه على الراذكاني .

٢ - حياته في نيسابور :

تلمذته في هذه المدينة على إمام الحرمين الجويني ، وتفوقه في مجلسه ، وما يروى عن غيره الجويني منه ، وهو شيء شبيه بما كان بين أرسطو واستاذة أفلاطون ، إن صحت رواية القدامى . وفي نيسابور اصطنع الغزالي بطريق الجويني مذهب الأشاعرة ، واطلع على المذاهب الكلامية ، وكذلك مذاهب الفلاسفة لما بين علم الكلام والفلسفة من صلة وثيقة .

٣ - في بغداد :

انتقل الغزالي من نيسابور الى العسكر حيث اتصل بنظام الملك ، ثم عين للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد ، وألف في هذه الفترة كتبه في أصول الفقه .

٤ - في مكة :

ثم قطع علاقته ببغداد ، وهرب منها ، وذهب الى الحجاز حاجاً في جوار بيت الله . وهذا في الواقع بدء انصرافه عن الدنيا وإقباله على الآخرة ، وتحوله من الاشتغال بالعلوم الدنيوية الى التصوف .

٦ - في دمشق :

ودخل الى الشام ، واستقر في دمشق حيث ألف اعظم كتبه وأعظمها أثراً في الفكر الاسلامي ، نفي « إحياء علوم الدين » ، وهو اكبر كتبه في التصوف ، الى درجة ان ابن عساكر نقل « كتاب العقائد » برمته عن الإحياء ، عند التأريخ له ، وقد بلغ من شهرة الإحياء ، ان كثيراً من اجزائه فصل على حدة ، واتخذ كتباً مستقلة . وهو الى ذلك فريد في تبويبه وترتيبه ، ويحوي جميع العلوم الشرعية والاجتماعية التي يحتاج اليها كل مسلم في حياته الدينية من شتى وجوها .

٧ - العودة الى نيسابور :

ثم عاد الى خراسان ، واستقر في نيسابور مرة اخرى ، استجابة لرعاء فخر الملك . واشتغل بالتدريس وقد بلغ الذروة ، الى ان توفي سنة ٥٠٥ هجرية .



ونحن نرى أن من يريد التصدي لسيرة الغزالي على النحو الذي ذكرنا ، لا بد له أن يحيط بالظروف التاريخية والاجتماعية والفكرية التي سادت العالم الاسلامي خلال القرن الخامس ، وبداية القرن السادس ، فلا نزاع ان الفيلسوف اذا كان خالفاً للمذاهب العقلية التي يهتدي بها قومه ، فانه الى جانب ذلك ، بل وقبل ذلك ، من خلق البيئة العقلية نفسها ، وتعد آراؤه تعبيراً صادقاً أميناً لروح الأمة . وكانت هناك تيارات فكرية متعددة ، منها التيار العلمي الخالص كالبحت في الفلك

والرياضيات والطب والنبات والفلاحة والكيمياء ؛ والتيار الفلسفي الذي بلغ أوجهه ، مثلاً في فلسفة الشيخ الرئيس ، الذي أثّر أعظم الأثر في حياة المسلمين ، وسلموا بأرائه وعدوها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فلا غرابة ان ينهض الغزالي يرد على تلك الآراء ويبين بطلانها في كتابه « تهافت الفلاسفة » الذي يعتبر من أعظم الآثار الفلسفية التي كتبت في تاريخ الفكر ، سواء وافقت صاحبها على حججه أم لم توافقه .

وفي القرن الخامس أخذت آراء المعتزلة في الانزواء ، وحلت محلها مذاهب الأشاعرة ، التي بدأت بالأشعري ثم بالجويني ، ثم بالغزالي . وهكذا نجد ان حجة الاسلام كان أحد العمدة التي قام عليها مذهب الأشاعرة ، بل انه يمثل اتجاهها لم يكن موجوداً من قبل منذ ظهور ذلك المذهب . وقد فطن ابن خلدون الى هذا الاتجاه الجديد في المذهب الأشعري ، فقسم آراءهم قسمين بحسب الطريق الذي سار فيه كل فريق ، فطريق القدماء ينتهي عند الجويني والباقلاني ممن يعترفون بالأسباب والمسببات . وطريق المحدثين الذي فتح الغزالي بابه حين هدم الارتباط بين الاسباب والمسببات .

هذا فضلاً عن الاختلاف بين الشيعة وبين السنة ، وبين الفقهاء أنفسهم ، واشتداد ساعد المذاهب الصوفية التي نبتت في فارس ، واكتسبت ألواناً جديدة مع انتقالها الى بيئات أخرى .

وكان الغزالي إماماً صاحب مذهب في جميع النواحي ، فهو إمام في الفقه ، وصاحب اتجاه في علم الكلام ، وله موقف من الفلسفة يجعلنا نسلكه في زمرة الفلاسفة ، وشيخ من شيوخ الصوفية ولو أنه لم يكن صاحب طريقة وأتباع ومريدين . جدير إذن بمن يدرس الغزالي ان يبحث في تأثير البيئة ، أو قل البيئات

المختلفة التي عاش فيها ، على حياته الفكرية ، لمعرفة الصلة بين هذا التحول الواضح في حياته من فلسفة إلى كلام إلى فقه إلى تصوف ، وبين الظروف التاريخية التي وجد فيها .

ونرجو ان تسر هذه السيرة التي تضم أقوال القدماء في حجة الاسلام البحث المنشود .

أحمد فؤاد الأهواني

المقدمة

كتب الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر يصف الغزالي وتنوع معرفته فقال « أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر في البال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدرته وقيمه .

يخطر في البال ، الغزالي الأصولي ، الحاذق الماهر ؛ والغزالي الفقيه الحر ؛ والغزالي المتكلم ، إمام السنة وحامي حماها ؛ والغزالي الاجتماعي ، الخبير بأحوال العالم ، وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب ؛ والغزالي الفيلسوف ، الذي ناهض الفلسفة ، وكشف عما فيها من زخرف وزيف ؛ والغزالي المربي ؛ والغزالي الصوفي الزاهد .

وإن شئت فقل إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره ، رجل متعاطش الى معرفة كل شيء ، نهم الى جميع فروع المعرفة .. »

والحقيقة ان من النادر أن تجد في تاريخ الفكر البشري إلا قليلاً من يماثل الغزالي في نهمه للمعرفة ، وجلده على البحث ، ورغبته في الوصول الى الحقيقة .

وقد كان طموحه الى معرفة الحقيقة دافعاً له الى تحصيل أكثر أنواع المعارف في عصره ، ونستطيع ان نلمس هذا من سجله الحافل عن حياته العقلية ، والذي أودعه كتابه « المنقذ من الضلال » ...

فقد تناول علم الكلام دراسة وتحصيلاً وتأليفاً ، ولم يكن فيه مجرد ناقل عن

(١) محمد فريد الرماحي - الغزالي ص ٩ وما بعدها .

الأشعري سالكاً في سبيله، بل كان يغلب رأياً على آخر ويقذف بالرأي الجديد ولو أغضب الأشاعرة.

وعمد الى الفلسفة فقتلها بحثاً وتنقيحاً، وخرج من دراستها بتأليف عدة، وكتابه «مقاصد الفلاسفة» يعتبر من أحسن الكتب التي تلخص وضع الفلسفة آنذاك، كما يُنظر الى كتابه «تهافت الفلاسفة» كحدث فكري فاصل في التاريخ الفلسفي.

ولم يكن شغفه بمعرفة مذاهب التعليمية، أو الباطنية بأقل قوة، خاصة وان الباطنية استشرت في زمنه وباتت تهدد العالم الاسلامي وتفرض إرهاباً أسود عليه، وحتى كادت ان ترسي قواعدها كاتجاه فكري قوي، لذلك عمد بعد دراستها الى التأليف فيها شارحاً حقيقتها، مهاجماً لها مبيناً خطرها.

وكان في دراساته متطوعاً دائماً الى يقين عقلي، وهذوء نفسي وقد وجد هذا في الصوفية فكرة وسلوكاً.

ولم يكن بعد هذا كله مقصراً في الدراسات الفقهية، فقد ألف في الأصول، وفي الفقه الشافعي كتباً متميزة حتى الآن من أهمات كتب هذا المذهب كالوجيز والوسيط والبسيط والخلاصة.

ومن مطالعة القوائم المتعددة التي وضعها الباحثون لكتب الغزالي نستطيع ان نعلم أي مدى من السعة والتنوع بلغه هذا الرجل في المعرفة. فقد استطاع ان يلم بثقافة عصره كلها تقريباً:

قرأ كتب الفلاسفة، رسائل إخوان الصفا، ومؤلفات الفارابي (٣٣٩ هـ) وابن سينا (٤٢٨ هـ) ومسكويه (٤٢١ هـ) وأخذ عن هذين الأخيرين كثيراً من آرائهما الفلسفية وخاصة من كتاب النجاة لابن سينا، وكتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه.

واستفاد من كتب الصوفية وخاصة من آثار أبي طالب المكي (٣٨٦ هـ) صاحب

قوت القلوب، والقشيري (٤٦٥ هـ) صاحب الرسالة المشهورة، والحاسبي والجنيد وغيرهم.

ولا شك أنه استفاد من القرآن الكريم، ومن الحديث الشريف، وإن كان ضعيف الرواية والنقل للحديث وقد عكف عليه في آخر عمره ليعوض ما فاتته منه.

كما أنه كان مطلعاً بصورة واسعة على الانجيل والآداب المسيحية، لأنه كثيراً ما يستشهد في كتبه والاخلاقي منها بأقوال وحوادث للسيد المسيح.

ولا بد أن نشير الى أنه كان حراً في انتفاعه من هذه الثقافات كلها، مرناً في مقارنتها وهضمها، واسع الصدر في مناقشتها وعرضها.

لم يمنعه تبنيه لآراء الأشاعرة في علم الكلام من أن يخرج على بعض آرائهم — كما قلنا — وفي أن يستبعد منها «المنافشات غير المجدية، ويبعد الفضول الدقيق، والزهو العقلي، ويظهر الشعور الديني ببساطة ووضوح، واثراح صدر، وعطف شديد الى روح الشعب...»^(١)

كما لم يمنعه تمذهبه بالمذهب الشافعي من ان يخالف الشافعية في بعض ما يقولون به، ويسير على طريق الاجتهاد في عدد من آرائه.

وسلوكه لطريق التصوف، والخدمة العظيمة التي قدمها للصوفية التي كانت كما يقول مكدونالد «موجودة في الاسلام قبل الغزالي إلا أنها كان يُنظر اليها كأنها شيء مخالف للشرع مزرع بمقام من يتبعه، ولكن الغزالي لما ظهر في ميدان الحياة عزز الصوفية في تعاليمه أياً تعزيز، وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريمها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم المسلمين السنيين بل بين جميع الفرق الاسلامية منذ ذلك الحين (٢)».

«١» كارا رونو . الغزالي ص ١٠٣ «٢» النواس والآلي . زويمر ص ١٢٨

تقول ان الغزالي الصوفي في كثير من آرائه وسلوكه لم يقصر في مهاجمة الآراء الصوفية السائدة حينذاك والتي اعتقد أنها مجانبة للحق ، وخاصة فكريتي الحلول والاتحاد ..

كما أنه عقد فصلاً خاصاً في كتابه « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين » هاجم فيه الصوفية وتقدم نقداً مراراً ..

وكان يصدر في هذا كله عن فكرته عن التقليد والمقلدين فهو خصم عنيف للتقليد ولعل هذه الخصومة تبدو واضحة فيما كتبه في « فصل التفرقة » « أما بعد فاني رأيتك أيها الأخ المشفق ، والصاديق المتعصب ، موغراً الصدر ، منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين والمشايع المتكلمين ، وأن العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ، ومباينة ولو في شيء نزر ضلال وخسر ، فهو أن أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ... واستصغر من بالكفر أو الضلال يعرف (١) »

ثم يتابع حديثه فيقول « مخاطب نفسك وصاحبك ، وطالبه بحمد الكفر فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعري ، أو مذهب المعتزلي ، أو مذهب الحنبلي أو غيرهم ، فاعلم أنه غر بليد ، قد قيده التقليد (٢) .. »

ولعل من المفيد أن نتابع الغزالي في هذه الساحة الفكرية فنقرأ حد الكفر والايان عنده ، « الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به ، والايان تصديقه في جميع ما جاء به .. (٣) »

وبين العلة في هذه السعة الفكرية في تعريف الايمان والكفر فيقول « وهذا لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً ، إذ معناه اباحة الدم ، والحكم بالخلود بالنار ، ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص .. (١) »

فالحقيقة هي من وراء الغزالي دائماً

واسمح الى حديثه في المنقذ شارحاً شجاعته في هجومه على مناهل المعرفة بنض النظر عن ألوانها وأشكالها « ولم أزل في عنفوان شبابي ، منذ دأمت البلوغ الى الآن وقد أناف السن على الحسين أقتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض عزامته خوض الجسور ، لاخوض الجبان الحزور ، وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتقمص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومفني ومبتدع (٢) »

★ ★ ★

لا عجب والغزالي على هذا الشكل من الورود على مناهل المعرفة ، والمهجوم على ما يعتقد أنها تستحق النقد ، والوقوف بجانب ما يعتقد أنه الحق من أن يكون محور دراسات كثيرة ومتمعة بين الاقدمين والمحدثين والمعاصرين ، ولا عجب أيضاً أن تختلف آراء الناس فيه اختلافاً كبيراً .. ولا غرو أن نجد اذاً من يمدحه حتى تحسب أنه منال في هذا المدح وأن تسمع ألقاب « حجة الاسلام » « زين الدين » وغيرها ، وأن نجد في نفس الوقت من يجعله مسؤولاً عن تدهور الفطرة الاسلامية ، في نفوس المسلمين ، ولكن المعرفة لا تعدم منصفين يسلكون السبل ، وينوعون الحيل للوصول الى الحقيقة الصحيحة .

★ ★ ★

وسيعقد بعد أيام مؤتمر عن « الغزالي » يشرف عليه المجلس الاعلى للآداب

«١» فصل التفرقة بين الاسلام والزندة - الغزالي - الطبعة الاولى ص ٦ - ٨

«٢» المرجع السابق ص ١٩

«٣» الفيل من ١١

«٢» المنقذ ص ٦٥

«١» المرجع السابق ص ٢٩

والفتون دعا اليه المهتمين بالدراسات الاسلامية الفلسفي منها والفقهية من شتى أنحاء العالم .. ولأنتي أعد بحثاً عن الغزالي فقد رأيت أن يكون لي نصيب ولو بسيط في الاسهام في التعريف بهذه الشخصية الفذة ، ووجدت أنه قد يكون من المفيد أن أقدم بين يدي هذا المؤتمر مجموعة من أبحاث رجال التاريخ والطبقات والسير ، التي تتناول حياته ، وعصره وما الى غير ذلك ...

وقد راعيت أن يكون بين هؤلاء ، المعاصر كعبد الغافر الفارسي ، والمتأخر قليلاً كابن عساكر ، وهكذا حتى القرن الثالث عشر الهجري .

وقد جمعت هذه الابحاث من عدد من الكتب المخطوطة ، والمطبوعة ، والمطبوع منها أغلبه — ان لم نقل كله — نادر مفقود .

وما أظن أن هذه المقالات غادرت شيئاً كثيراً من حياة هذا الرجل الشخصية والعقلية ...

وفي اعتقادي أن نشر هذه الابحاث من الضرورة بمكان ، لأنه يجعل أم المراجع التي لا بد من العودة اليها للتأريخ للغزالي متيسرة بين أيدي الباحثين .. وقد ضمنتها أوسع دراسة قديمة عن حياة الغزالي وبيئته ومؤلفاته وتلاميذه وآراء العلماء فيه بقلم السيد المرتضى الزبيدي ، شارح الاحياء المشهور كتبها مقدماً بها لشرحه الكبير .

★ ★ ★

وكنيت أود ان يكون عملي مقتصرأ على تقديم هذه الابحاث خالية من أي مقدمة مكنتياً بوضعها بين أيدي الباحثين تاركاً لهم مهمة دراستها واستخلاص ما يروونه فيها . غير أنني وجدت الواجب يحتم علي أن أشير الى بعض الملاحظات حول حياة الغزالي وأسباب خروجه من بغداد وهل سافر الى مصر ، ولم أقصد من سرد هذه الملاحظات كتابة سيرة جديدة للغزالي .

١ — حياة الغزالي :

نستطيع ان نلخص حياة الغزالي بالمراحل التالية :

سنة ٤٥٠ هـ	ولادته بطوس
حوالي ٤٦٥	دراسته على الشيخ احمد الراذكاني ، وذهابه الى جرجان . ودراسته على الشيخ الاسماعيلي (١) .
حوالي ٤٧٠	عودته الى طوس حيث بقي فيها ثلاث سنوات .
حوالي سنة ٤٧٣	ذهابه الى نيسابور ودراسته على أبي المعالي الجويني والفارمدي .
حوالي سنة ٤٧٨	أي بعد وفاة الجويني ، ذهابه الى العسكر قاصداً نظام الملك .
جمادى (١) ٤٨٤	إرساله مدرساً الى بغداد .
من ٤٨٤ إلى ٤٨٨	فترة تدريسه في بغداد ، حيث أصبح فيها من الرجال المشهورين .
حوالي ٤٨٨	ترك التدريس ، وخروجه من بغداد مدعياً الحج . مسافراً الى الشام
من ٤٨٨ — ٤٩٠	منتقلاً بين دمشق والقدس ومكة والمدينة
سنة ٤٩٠	عودته الى بغداد ، وبقاؤه فيها مدة يسيرة مدرساً الاحياء في رباط أبي سعد .. ثم سفره الى همدان .
حوالي ٤٩٣	عودته الى طوس حيث بقي فيها طويلاً .
ذي القعدة ٤٩٩	التدريس في نظامية نيسابور
سنة ٥٠٣	تركه التدريس وعودته الى طوس .
الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥	وفاته في مسقط رأسه « طوس » ..

★ ★ ★

(١) يشير جبر في مقاله في ال mideo الى أن الشيخ المقصود قد لا يكون أبانصر لانه توفي

سنة ٤٢٧ بل الشيخ اسماعيل بن سعد الاسماعيلي المتوفي سنة ٤٨٧ .

٢ - أسباب خروج الغزالي من بغداد :

يلقي بعض المؤرخين ورجال الطبقات ظلالاً كثيفة على حادثة خروج الغزالي من بغداد ، فبعضهم يكتفي بالسبب الذي ذكره الغزالي عن نفسه في كتابه « المنقذ من الضلال » حيث يقول :

« ثم لاحظت أحوالي فلذا أنا منغمس في العلائق ، وقد أهدت بي من كل الجوانب ، ولا حظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعناها ومحررها طلب الجاه وانتشار الصيت .. فلم أزل أتفكر في الأمر مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً ، وأحل العزم يوماً ، وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ، لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة ، إلا ويحمل عليها جند الشهوة فيغترسها عشية ، فصارت شهوات الدنيا تجاذبي بسلاسلها إلى المقام ، ومنادي الإيمان ينادي الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك العمر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتحصيل ، فإن لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد ، وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع ، فعند ذلك تنبث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار ، ثم يعود الشيطان ويقول : هذه حال عارضة إياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال فإن أنت أدعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص ، والأمن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما التفتت إليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة .

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة ، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار إذ أقفل الله على لساني ، حتى اعتقل عن التدريس فكنت

أجاهد نفسي ان أدرس يوماً واحداً تطيباً لقلوب المختلفة إلي ، فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة ، حتى أورثت هذه العقدة في اللسان حزناً في القلب ، بطلت معه قوة الهضم ومראה الطعام والشراب ، فكان لا ينساغ لي ثريد ، ولا تنهض لي لقمة ، وتعدي إلى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء طعمهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج.

ثم لما احسست بعجزتي وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له ، فأجاني الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب ، وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أريد في نفسي سفر الشام . حذار ان يطعن الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزمي على ألا أعادها أبداً ، واستهدفت لأئمة العراق كافة إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سبباً دينياً ، اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم ، ثم ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ، وأما من قرُب من الولاة ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكباب علي ، وإعراضهم عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون هذا أمر سماوي ، ليس له سبب إلا عين أصابت الاسلام وزمرة العلم ، ففارقت بغداد (١) .

أما كارا دوثر فيرى أن الغزالي لم يكن بحاجة إلى هذا التسلسل المسرحي الذي ذكره حتى يصل إلى تقرير ما يريد من أن طريق التصوف هو السبيل الوحيد للوصول إلى المعرفة وبالتالي فإن الرغبة في السلوك مع الصوفية لا ينظر إليها في ذلك الحين بالذات كدافع أساسي لخروجه من بغداد ، فالغزالي صوفي أصلاً ، أبوه صوفي ، والذي عني به صوفي والذين أحاطوا به في صباه وأثناء شبابه واكتماله أناس أتقياء (٢) .

(١) المنقذ ص ١٢٦ وما بعدها (٢) الغزالي. كارا دوثر ص ٤٨ - ٤٩

كما نجد فريد جبر يشك في ان يكون خروج الغزالي من بغداد مباغتاً مفاجئاً كما يصور ذلك السبكي .. وبلغت النظر إلى الحوادث السياسية التي لم يعلق عليها السبكي بكلمة ويرى ان لهذه الحوادث أثرها في الخروج من بغداد^(١).

فقد سقط نظام الملك في رمضان سنة ٤٨٥ في بغداد بيد أحد الباطنيين، ولا يبعد أن يكون للسلطان يد في اغتياله، وكانت العلاقة قوية بين نظام الملك والخليفة وكان الباطنية يهددون مخالفيهم في ذلك الحين، والغزالي خصم لدود، ثم ان عبد الغافر يذكر انه قد فتح على الغزالي باب من الخوف صرفه عن التدريس والحياة العامة، وليس من المستغرب أن يكون هذا الخوف الشديد من جراء الأزمات السياسية الحادثة في ذلك العهد.

ويشك الدكتور البكري لعدد من الاسباب في جدية عزلة الغزالي الصوفية، وكونها سبباً في خروجه من بغداد^(٢).

أما ماكدونالد فيرى ان الخروج من بغداد سببه سياسي، أو أنه كان لاستشعاره الخوف وخشية الأذى فقد كان الموقف السياسي يومئذ خطراً وكانت الأحوال مضطربة لاتبعث على الاطمئنان عقب وفاة نظام الملك^(٣).

ولا يففل ابن خلدون أن يشير إلى علاقة الغزالي بيوسف بن تاشفين، ورضاه عن اللقب الذي لقب به وهو أمير المؤمنين وما قد يكون لذلك من أثر في إثارة حفيظة أصحاب السلطة في بغداد^(٤).

والحق أن الغزالي لم يكن بعيداً عن الحياة السياسية :

(١) M. I. DE. O. مقال له عن حياة الغزالي ومؤلفاته .

(٢) عبد الدائم البكري -- اعترافات الغزالي من ١٢٣ وما بعدها .

(٣) مقال The life of Al Ghazali

(٤) ابن خلدون :المبرس ج ٣ ص ١١٩

فقد كان أحد المشهورين الذين يشار إليهم بالبنان في بغداد، وكان للفقهاء وكبار العلماء منزلة في نفوس الناس وعند الحكام، خاصة وأن السليحيين الحاكمين حينذاك كانوا يدعمون الاتجاه السني أمام العقيدة الفاطمية . وكان اعتمادهم في ذلك على فقهاء وعلماء أهل السنة، وكان لأساتذة المدرسة النظامية بالذات شأن كبير، ولعلنا نستدل على ذلك مما تذكره الكتب التاريخية عن تدخلهم لحل الخلافات بين الأمراء، وعن رجوع الحكام إليهم في كثير من الأمور، فقد ذكر ابن خلدون مثلاً كيف كان الخلاف مستحكماً بين السلطان محمد (أبو شجاع) وابن أخيه ملكشاه، وكيف تدخل الفقهاء بالصلح بينهما . قال ابن خلدون « وحضر من الغد القاضي والقيان واستحلف الكيا الهراسي مدرس النظامية بحضور القاضي وزير أباز بحضورهم لملكشاه ولأباز ولأمراء الذين معه، فقال أماملكشاه فهو ابني وأما أباز والامراء فأحلف لهم ألا ينال ابن انوش، وساروا واستحلفه الكيا الهراسي^(١) » . وقد شارك الغزالي بالذات ببعض الأمور السياسية فقد كلفه المستظهر بالله الخليفة العباسي بتأليف كتاب يفند فيه آراء الباطنية وقد فعل، وسماه المستظهري . كما أن ابن خلدون يذكر أنه حين توفي السلطان (جلال الدين أبو الفتح) سنة ٤٨٥ كتمت زوجته الأمر وأرادت ان يولي الخليفة ابنها محمود، وعمره آنذاك أربع سنين « فأجابها على شرط ان يكون أحد من أمراء أبيه هو القائم بتدبير الملك وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك ويكون له ترتيب العمل وجباية الاموال فأبت عليه أولاً من قبول هذا الشرط حتى جاءها الامام أبو حامد الغزالي وأخبرها أن الشرع لا يحيز تصرفاته فأذعنت لذلك^(٢) »

كل هذه الأمور تجعل المجال واسعاً لتفسير نبالة الغزالي بأنه فتح عليه باب

(١) ابن خلدون :العبر ج ٣ ص ٤٩٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٧٨

من الخوف شديد^(١) بأنه الخوف أن يصبه رذاذ المؤامرات السياسية المستحكمة ، كما تجعل البعض يحاول تفسير سبب اختيار الغزالي دمشق على غيرها بأنها أبعد البلاد الإسلامية حينذاك عن سلطة الباطنيين^(٢) .

٣ - هل بقي الغزالي طيلة مدة العزلة في الشام :

اختلف المؤرخون ورجال الطبقات في تحديد المدة التي بقي فيها الغزالي في بلاد الشام فبعضهم يؤيد ما يقوله الغزالي في المنقذ من أنه بقي فيها سنتين فقط « ثم دخلت الشام وأقمت بها قريباً من سنتين ، لاشغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغلاً بتزكية النفس ، وتهذيب الاخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية ، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ، ثم دخلت منها الى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأقفل بابها على نفسي .

ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله ﷺ بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسرت الى الحجاز .

ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن ، فعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه ، فأثرت العزلة به أيضاً ، حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، وكانت حوادث الزمان ومهات العيال وضرورات المعاش تغير وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة ، وكان لا يصفولي الحال إلا في أوقات متفرقة ، لكنني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود اليها ، ودمت على ذلك مقدار عشر سنين^(٣) »

ومن الذين نحا نحو هذا الاتجاه ابن الجوزي في المنتظم إذ يقول « وفي ذي القعدة خرج ابو حامد الغزالي من بغداد متوجهاً الى بيت المقدس تاركاً للتدريس في النظامية زاهداً في ذلك ، لابساً خشن الثياب بعد ناعمها ، وناب عنه أخوه في التدريس ، وعاد في السنة الثالثة من خروجه وقد صنف كتاب الاحياء فكان يجتمع اليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه منه^(١) » .

كذلك فعل ابو الفداء وابن العماد .

يقول ابو الفداء في حوادث سنة ٤٨٨ هـ « وفيها سار ابو حامد الغزالي الى الشام وترك التدريس في النظامية لأخيه نيابة عنه ، وترهد ولبس الخشن ، وزار القدس وحج ثم عاد الى بغداد ، وسار الى خراسان^(٢) » .

أما ابن العماد فيذكر في الشذرات في حوادث سنة ٤٨٨ هـ أيضاً « وفيها قدم الامام الغزالي دمشق متزهداً وصنف الإحياء وأسمعه بدمشق وأقام فيها سنتين ثم حج ورد الى وطنه^(٣) » .

ويحدث القاضي ابن العربي أنه لقي الغزالي في بغداد ، وفي رباط أبي سعد بالذات في جمادى الآخرة ، سنة ٤٩٠ هـ « ورد علينا (أي الغزالي) فنزل برباط أبي سعد بإزاء المدرسة النظامية ، معرضاً عن الدنيا ، مقبلاً على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا انفسنا عليه ، وقلت له أنت ضالتنا التي كنا نشد وإماننا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة^(٤) » .

ولكن بعض رجال الطبقات يرون انه كان مدة العزلة كلها في بلاد الشام بين

(١) المنتظم حوادث ٤٨٨

(٢) تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٢٠٨

(٣) شذرات الذهب ج ٣ حوادث سنة ٤٨٨

(٤) المقرئ نفع الطيب ج ١ ص ٣٤٣

(١) السبكي ج ٤ ص ١٠٩

(٢) جبر نفس المرجع السابق .

(٣) المنقذ ص ١٢٩

دمشق والقدس . ذهب منها مرة الى الحج . أي أن الغزالي أمضى عشرة سنين في الشام .

وممن نحا هذا النحو عبد الغافر ، وابن عساكر ، والسبكي .

والذي يخيل الي انه لم يبق في دمشق إلا سنتين عاد بعدها الى بغداد فمكث فيها قليلا ثم اعتزل في خراسان^(١) فترة طويلة قطعها بالعودة الى التدريس في تيسابور ثم عاد الى عزلته في بلدة طوس^(٢) .

ومما يقوي هذا الرأي في نظرنا بالاضافة الى ما ذكرناه ان الصليبيين استولوا على بيت المقدس عام ٤٩١ هـ . وذلك بعد ان ملكوا انطاكية وقتلوا ملك معرة النعمان وتوالى استيلاؤهم على بلاد الشام واحدة بعد الأخرى ومع ذلك لانسمع للصليبيين ذكراً في كتابات الغزالي ، ولاتحريضاً منه للمسلمين على الجهاد والدفاع عن الدين والبلاد ، ولا نظنه لو كان في الشام آنذاك يغفل عن مثل هذا الواجب . وقد سبق له ان شارك في تبيان خطر الباطنية ووقف امامهم وهم في قوتهم وعظمتهم^(٣) .

٤ — ذهابه الى مصر :

يذكر بعض المؤرخين ورجال الطبقات ان الغزالي اثناء تجواله في بلاد الشام قصد مصر فدخل الاسكندرية وأقام فيها مدة وكان يريد على ما ذكره السفر الى يوسف بن تاشفين في المغرب الأقصى ، ولكنه علم انه مات فرجع .

قال ياقوت في معجم البلدان في معرض حديثه عن الغزالي « ويقال انه اقام بمنارة الاسكندرية^(٤) »

(١) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٨٧ .

(٢) Bouyge : ess ai de chronologie p . 3 (٢)

(٣) يرى كثير من الكتاب في موقف السكوت الذي سلكه الغزالي من الصليبيين شيئاً من الضعف والتهاون .

(٤) معجم البلدان طبعة لايبزيغ جلد ٣ ص ٥٦١

أما أبو الفداء فقال « وقصد دمشق واقام بها مدة ثم انتقل الى القدس واجتهد في العبادة . ثم قصد مصر واقام بالاسكندرية مدة ... »^(١)

وذكر السبكي ان الغزالي بعد مفارقتها دمشق أخذ يجول في البلاد وقصد مصر ثم الاسكندرية فأقام بها مدة ، ويقال أنه عزم على المضي الى السلطان يوسف بن تاشفين لما بلغه من عدله^(٢) .

غير اننا نميل الى تغليب الظن بأنه لم يسافر الى مصر متابعين بذلك ابن الأثير وابن كثير ، والغزالي نفسه الذي لم يذكر شيئاً في كتبه كلها عن هذه الرحلة .

٥ — الحياة السياسية في عصر الغزالي :

وقد كان الغزالي يعمل في جو سياسي مضطرب ، وكانت الخلافات العباسية في غاية التدني والانحطاط : السلطان العربي في بغداد اقترض أو كاد يقرض ، إسبانيا تأثرت ضد حكامها المسلمين ، بطرس الناسك يحرض الناس على الحروب الصليبية ، انقسام الناس الى شيعة وسنة على أسس دينية وسياسية ، الأشعرية والفلسفة المدرسية في الاسلام بمساندة السلجوقيين تناهض المعتزلة^(٣) .

وقد كان نظام الحكم في بغداد معقداً مربكاً ، كان هنالك الخليفة الذي لا يملك من الحكم إلا الخطبة باسمه على المنابر ، والي جانبه السلطان السلجوقي الذي يسيطر على الجيش والسياسة .

وكان مناصرو الغزالي من الخلفاء ، المقتدي بالله (٤٨٧) ، ثم المستظهر بالله (٥١٢) ... ومعاصروه من السلاطين عضد الدولة ابن أرسلان (٤٦٥) ، جلال

(١) تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) السبكي ج ٤ ص ١٠٥ .

(٣) التصوف الاسلامي العربي ، عبد اللطيف الطباري ص ٤٣

الدين ملكشاه (٤٨٥)، ناصر الدين محمود (٤٨٧)، ركن الدين أبو المظفر
بركياروق (٤٩٨) ركن الدين ملكشاه الثاني (٤٩٨)، محمد بن ملكشاه (٥١١)
وكان إلى جانب السلطان وزيره الذي كان غالباً مائسك بزمام السلطة .

ونظام الملك أحد هؤلاء الوزراء الاقوياء فقد استطاع أن يسيطر على الدولة
حوالي ربع قرن ، وكان لهذا الوزير أثره الكبير في الحياة الثقافية ،
إذ هو الذي أسس المدارس النظامية المشهورة . وقد كان معاصراً بل زميلاً في
الدراسة للغزالي .

كما أن الوزير غفر الدولة بن نظام الملك هو الذي ألح على الغزالي في
العودة إلى التدريس في نظامية نيسابور .

أما في باقي الولايات الاسلامية .. فقد كان بالمغرب الاقصى دولة المثلثين والقائم
بأمرهم يوسف بن تاشفين وابنه من بعده .

وفي افريقية كان يحكم آل زيري وأشهرهم تميم بن العز بن باديس ، ثم يحيى بن غنيم .
وكان الحكم في مصر فاطمياً وأشهر من عاصر الغزالي من
خلفائهم المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر ، ثم الأمر بأحكام الله علي
المنصور بن المستعلي^(١) .

وقد شهد الغزالي أو سمع بالدهية التي أصابت العالم الاسلامي في السنين
الاخيرة من حياته ، وذلك حين بدأت بجافل الصليبيين تغزو البلاد ، وتؤسس
فيها الممالك والدول ، فقد أسسوا إمارة الرها بوادي الفرات عام ٤٩٠ هـ ، ثم
في انطاكية عام ٤٩١ هـ ، وفتحوا بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ وطرابلس سنة
٤٩٥ هـ وهكذا^(٢) .

ولكنه مع ذلك لم يحرك ساكناً ضدهم ، ولم يجز ذكرهم في أي كتاب
من كتبه الكثيرة وقد هاجمه زكي المبارك لهذا الموقف^(٣) . والتمس له
فريد جبر العذر إذ أنه كان في خراسان بعيداً عن المعركة ، في عزلته
وخلوته ، ولعله لو كان في الشام اتخذ موقفاً مخالفاً ، ثم إن البلاد الاسلامية
كانت كلها حينذاك غارقة في الفتن والمؤامرات ، والمعارك على السلطة بين
الامراء لم تكن تنقطع وفي كل هذا شغل للمسلمين في قطر عن أحوال
المسلمين في الاقطار الاخرى^(٤) .

٦ - الباطنية^(٥) :

وكان خطر الباطنية بازدياد ووصلت خطورتهم إلى درجة كبيرة حتى أنهم
قتلوا نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ . وابنه غفر الدولة سنة ٥٠٠ هـ ، والأعز وزير
السلطان بركياروق سنة ٤٩٥ هـ ...

وفرضوا نوعاً من الارهاب على المناطق الشرقية من العالم الاسلامي .
وكان الفاطميون من وراء الحركة الباطنية ، وقد استغلت فرصة الفوضى السياسية
وعدم وجود أصحاب عيون وأخبار في البلاد فعانت فيها فساداً .

وكان الرئيس الثاني للباطنية الحسن بن الصباح ، الذي رحل إلى مصر ،
وثقي فيها الخليفة المستنصر واستولى بعد عودته على قلعة « الموت » وقد أرسل
إليه نظام الملك من حاصره فلما خاق عليه الحصار أرسل إلى النظام من قتله ..
وقد استولوا بعد قتله على قلعة أصهان .

وكان الباطنية شجعاناً ، يمتنون اتباعهم بالاعاجيب ، انقسم الناس بالنسبة لهم

(١) الاخلاق عند الغزالي ص ١٥

(٢) جبر المقال السابق .

(٣) ملخص عن كتاب تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٦٥ وما بعدها

(١) تاريخ الامم الاسلامية للخزفي ج ٢ ص ٥٧٦ وما بعدها

(٢) تاريخ ابن العبد ص ٢٩٢

فرقتان منهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة ، ومنهم من عاهدهم على المسالمة والموادعة . فمن عاداهم خاف من فتكهم ومن سالهم نسبته الناس الى الارتكاس في عقيدتهم ، وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين .

وزاد أمرهم استفحالاً ، فصاروا يهددون من لا يوافقهم بالقتل ، فصار يخافهم من يخالفهم حتى لم يجسر أحد من مخالفيهم ولو كان أميراً من الخروج من منزله حاسراً ، بل كان يلبس تحت ثيابه درعاً ، واستأذن السلطان بركياروق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم ، وعرفوه خوفهم من الباطنية وأشاروا على أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم .. وهكذا حاول بركياروق أن يطهر الصفوف الداخلية منهم فأوقع بهم وذهب بعض الأبرياء ، وكاد يذهب الكيا الهراسي رفيق الغزالي في التدريس في النظامية والتلمذة على الجويني لولا أن استخلصه الخليفة المستظهر .

ثم أصبحوا يتعرضون لقوافل الحجاج حينما شغل عنهم الطلب بسبب خلاف السلطانين محمد وبركياروق ولما صفا الأمر لمحمد خرج الى حربهم وحاصرهم في أصبهان وقضى على ابن عكاش أحد رؤسائهم وأرسل من يقضي على حسن بن الصباح في قلعة الموت ولكنه توفي قبل ذلك ورجع الجند عنهم^(١) .

وكان للغزالي مع الباطنية جولات فكرية في أكثر من واحد من كتبه وألف ضدهم خاصة كتاب المستظري بتكليف من المستظهر بالله ، ألح فيه على هدم فكرة الامام المعصوم الذي كان يؤمن بها أولئك ، فالامور الدينية عندهم لا تؤخذ في ثوبها اليقيني إلا عن الامام المعصوم الذي يتلقاها عن الله مباشرة .

(١) وقد مات ابن الصباح سنة « ٥٢٨ »

٧ - الحياة الثقافية في عصره وثقافته الشخصية :

وكان العالم الاسلامي أيام الغزالي يخضع لمؤثرات ثقافية مختلفة .

فبالإضافة الى العنصر الاسلامي الاصيل الذي يتمثل بالقرآن والحديث وآراء الصحابة والفقهاء كانت هنالك تيارات ثقافية مختلفة تخلع رداءها على تفكير المسلمين .

ولعل الثقافة اليونانية من أكثر هذه التيارات أثراً ، ويرجع البعض أثرها الى ما قبل الاسلام « وجملة القول ان الثقافة اليونانية كانت هي السائدة في بيئة شرقنا هذا منذ فتوح الاسكندر ، وظلت متقدمة مع الزمن ، يضاف اليها عوامل تختلف باختلاف الأزمان ، وقد اختلطت بالفلسفة الهندية والفارسية والمصرية ، ولكنها ظلت هي الظاهرة المسيطرة إلى ان جاء المسلمون الذين نشطوا بعد تأثيل الملك إلى اقتباس مدنية من سبقهم فوجدوها ميسرة .. »

ومن اختلاط الثقافة اليونانية قبل الاسلام مع بقية الثقافات الأخرى ، ومع اصطباغها بفكرة ما وراء الطبيعة بالأسلوب المسيحي ، ظهرت الافلاطونية الجديدة في القرن الثالث للميلاد وكان لها أثر كبير على الفكر الاسلامي وخاصة الصوفي منه .

وكان أثر الفلسفة الهندية متأخراً عن الفلسفة اليونانية ، فقد بدأ في أواخر القرن الثالث الهجري ، وكانت أكثر ما يبدو تأثيرهم في التفكير الصوفي حيث تأثر بفكرة الفناء الروحي .

ولم يقل تأثير فلسفة الفرس عن تأثير فلسفة الهنود وأكثر ما تظهر آثارهم في العقائد الشيعية المتطرفة في الحق الإلهي للملك ، وفي حلول الله في جسد الامام

(١) التصوف الاسلامي ، الطياوي ص ٩ .

كما أن مدرسة حران بن فيها من الصابئة تركت تأثيرها ولو أنه جاء متأخراً ، وكان الصابئة وثنيين متدينين بكلمة الصابئة الواردة في القرآن^(١) .

ونستطيع ان نقسم العصور العباسية من الناحية الثقافية الى ثلاثة عصور :

١ - العصر الاول وهو دور النقل والتوسع والاستحداث والتجديد عن طريق الترجمة و مزج الثقافة العربية الاسلامية بغيرها .

٢ - العصر الثاني وهو دور التطبيق ومحاولة التقريب بين الفلسفة والدين .

٣ - العصر الثالث (عصر الغزالي) ظهرت فيه فورة جديدة ، وهي فورة الغضب للدين على الفلسفة .

وكان الغزالي من أهم ركائز هذا العصر ، وقد تأثر بنشأته الصوفية التي هيأتها له بيئته فدفع به الى دراسة كل ماسبقه من الفلسفات وأحوال أصحابها ثم عادت به روحانيته الى جوهر تعاليم الاسلام^(٢) .

ولاشك أن تأثر المسلمين بالعناصر الثقافية الوافدة كان كبيراً بسبب كثرة مجاء به الثقلة من جميع انواع الفلسفات والعلوم والفنون .

وكان من طبيعة وجود هذه العوامل الثقافية المختلفة المتعارضة في كثير من الاحيان ، أن ظهر على هذا العصر طابع الاسراف في التفكير ، وجموح الخيال ، بل لقد انقلبت وجوه الاسراف الى بلبلة عجيبة وعرض عجيب للعلل والنحل والمذاهب وأصبح المجتمع عجيباً « امتلأت حقائب تاريخه بمئات من الطرق والمذاهب الدينية والفلسفية والكلامية ، حتى لقد أصبح لكل لسان ذرب مذهب خاص به ، ولكل قلم ممتلىء أمة فكرية تتبعه^(٣) » .

فالفلسفة اليونانية ، والرغبة في الخروج على القديم لها أنصارها ، وأنصار القديم ومحاربه هذا الاتجاه لهم أنصارهم ، ثم إن أنصار القديم يختلفون على أنفسهم ، وعلماء الكلام في خلاف مستمر بين أشعري ومعتزل ..

ولا يصح ان نفعل أنصار الصوفية الذين رأوا هذا التطور الجديد فلم يسكنوا اليه ولم يطمئنوا الى نتائجه ، فنهضوا الى المداواة بالعبادة العلمية ، أو الكشف الباطني ، والمشاهدة المحضة ، فنشأت من الصوفية بعض الاتجاهات التي اختلطت بعناصر من مذاهب الفرس والهند واليونان^(٤) .

ولعل من المفيد أن نعرض هنا بعض الصور الزهية عن هذه الحالة من الفوضى الفكرية يذكرها ابن خلدون في العبر « كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته اليه مدينة في العالم منذ بدء الخليقة فيما علمناه ، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن ، وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون ... وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعية من الخلاف في الامانة ومذاهبها ، وبين الحنابلة والشافعية ، وغيرهم ، من تصريح الحنابلة بالتنشيه في الذات والصفات ونسبتهم ذلك الى الامام احمد وحاشاه منه ، فيقع الجدال والتكثير ثم يفضي ذلك الى الفتنة بين العوام ... وتكرر ذلك ..^(٥) »

ويقول أيضاً « وكان ابو النصر بن الاستاذ أبي القاسم القشيري قد حج سنة ٤٦٩ فورد هذا بغداد منصرفاً من الحج ووعظ الناس بالنظامية وفي رباط شيخ من الشيوخ ونصر مذهب الاشعري فأنكر عليه الحنابلة وكثر التعصب من الجانبين وحدثت الفتن والنهب عند المدرسة النظامية^(٦) »

(١) الغزالي للرفاعي ص ٧٥ .

(٢) العبر لابن خلدون ج ٣ ص ٤٧٧ .

(٣) العبر لابن خلدون ج ٣ ص ٤٧٢ .

(١) المرجع السابق ص ١٠ .

(٢) الغزالي للرفاعي ص ٣١ .

(٣) الغزالي طه عبد الباقي مرور ص ٨

أضف الى هذه العوامل تأييد الحكام لبعض الاتجاهات الفكرية دون
الآخرى ، فقد تدخل نظام الملك لاعادة شأن الأشاعرة وقوتهم ، وكان نظام
الملك صاحب فكرة تتعلق بالسياسة فقد وقف مع السنة تجاه الفاطميين والباطنية ،
وأسس المدارس النظامية لدعم هذا الاتجاه وهكذا ...

في هذا الجو المضطرب كانت سفينة الغزالي تشق طريقها ، وقد تسليح
باطلاعه على أكثر الثقافات كما رأينا ، بالإضافة الى أنه كان « شديد الذكاء
سديد النظر ، عجيب الفطرة ، مفرط الادراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور ،
غواصاً على المعاني الدقيقة ، جبل علم مناظراً محججاً^(١) » .
وقد وصفه أستاذه الجويني بأنه « بحر مغدق^(٢) » .

وقال عنه أحد معارضيه في الرأي وهو ابن الجوزي « وتفقه على أبي المعالي
الجويني وبرع في النظر في مدة قريبة وقاوم الاقران وتوحد وصنف الكتب
الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام
فيها حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر الجويني الى كتابه المسمى
بالمختل فحال له دفنتي وأناحي هلا انتظرت أموت؛ وأراد أن كتابك غطي على كتابي^(٣) » .
وقد عرف عنه مروته في التفكير ، وقدرته على التوفيق بين الآراء
المختلفة ، للوصول الى رأي وسط بينها « كما كان يلاطف الفرقاء ويستعمل
الفاظهم ويسمي بأسمائهم وذلك ليكسب ثقتهم ثم يهدم ما بنوه^(٤) » .
وقد استطاع أن يخدم السنة ، والصوفية ، والأشاعرة ، ووقف حائلاً بين

الفلسفة واضطراد تقدمها. وكان كتاب « التهاوت » فيصلاً بين عهدين من
عهود الفلسفة في المشرق ، إذ لم يتيسر لها أن تحتفظ بالتقدير الذي كانت
تمتتع به من قبل^(١) .

ويظن « دوجا » أن انتصار الغزالي على الفلسفة كان سهلاً بسبب تهديد المدارس
السنية وخاصة النظامية^(٢) .

ولكن يبقى للغزالي لو أخذنا برأي دوجا ان أحداً قبله « لم يحاول ان يشن
على جملة المذاهب الفلسفية التي قامت في الشرق على أساس من الفلسفة
اليونانية غارة تستند الى وجهات نظر عامة وتقوم على دراسة عميقة^(٣) » .

ويلخص الدكتور ماكدونالد سبب قوة تأثير الغزالي على العالم الاسلامي
من أربعة أوجه فهو :

أولاً : كان زعيماً علمياً على إرجاع المسلمين عن التعاليم المجردة التي لا مغزى
ولامعنى لها الى اتصال قوي مع الكتاب والسنة لأنهما في نظره ينبوع الاسلام.
الوحيد ويمكن بل يجوز لنا ان نسميه فقيهاً في القرآن. كما نفهم من هذه التسمية
في عصرنا الحالي لأن تفسيره للكتاب ليس إيراداً لما أورده القابرون من التفسير
ولكنه تفسير روحي لنصوص القرآن صادر من فيوضات آرائه الخاصة .

ثانياً : أدخل الغزالي في العلم الانسلاحي عنصر الخوف من جديد لأنه في
الأيام السابقة كانت مخاوف يوم الدينونة وأهوال الجحيم — كما في نصوص القرآن —
عبارة عن زاجر قوي يزجر القوم ويردعهم ويوقظهم ويدعوهم للرجوع الى التوبة.

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام د. دوبروس ١٩٤١ ..

(٢) Histoire Des Philosophes Et Des Theologues Musulmans P. 162.

(٣) تاريخ الفلاسفة في الاسلام — دوبروس ١٩٤٢ ..

(١) طبقات السبكي ج ٤ ص ١٠٣ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) المتكلم ج ٩ حوادث سنة ٥٠٥ .

(٤) الحقيقة في نظر الغزالي سليمان دنباس ٨٤ .

ولكن ميل الخلفاء والرؤساء والعلماء إلى مايلذذ أجسادهم جعل القوم يجرؤون على إهمال هذه التعاليم وعلى التهاون بها فاجاء الغزالي وأعاد إلى هذه التعاليم قوتها الأولى وروعتها ، وعززها ، وأطرب فيها حتى جعل الفرائض ترتعد من كثرة ما ذكر فيها من المخاوف والأهوال وقد استدللنا على هذه الحقيقة بما كتبه الإمام الغزالي في كتابه « الدرة الفاخرة » الذي له المقام الأسمى في قلوب المتدينين المسلمين إلى الآن. ثالثاً كانت الصوفية موجودة في الاسلام قبل الغزالي ، إلا أنها كان ينظر إليها كأنها شيء مخالف للشرع ، مزر بمقام من يتبعه ، ولكن الغزالي لما ظهر في ميدان الحياة عزز الصوفية في تعاليمه أياً تعزز وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريمها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم السنين المسلمين بل بين جميع الفرق الاسلامية منذ ذلك الحين .

رابعاً : إن هذا الإمام حلل الفلسفة حتى جمعها قريبة من العقول العادية ، ثم بين خطرها ومبادئها الأساسية ، ثم أظهر كتابه بشكل جلي أنه لا فرق بين الفلسفة الحققة ومبادئ الاسلام^(١) .

ولعل ماكدونالد يصيب الحقيقة حين يقول « إنه لم يكن كشافاً ، ولا أول من ركب الطريق واهتدى إلى النجد ، ولكنه كان رجلاً كبير الشخصية ، شديد التأثير ، نهج سبلاً مطروقة ، فجعلها شرعاً عاماً ، ومحجة واضحة ، وهذا من فضل شخصيته وقوة خليقته ، وقد يكون ثم من هو أرفع منه وأدق منطقاً وأفقه منه علماً ، وأكثر منه مواهب من قديسين ومتدينين^(٢) » .

٨ — حول مؤلفات الغزالي :

من الواضح أن الغزالي من أكثر كتاب العالم إنتاجاً ، وتنوعاً ، لذلك وصفه

أحدهم بأمر الكتاب فقال « محمد بن عبدالله أمير الأنبياء ، ومحمد بن ادريس الشافعي أمير الإيمان ، ومحمد بن محمد بن حامد الغزالي أمير الكتاب^(١) » .

وكان أهم ما تناوله الغزالي في هذه المؤلفات :

١ — الفقه وأصوله .

٢ — المنطق والفلسفة والرد على الفلاسفة .

٣ — الرد على الباطنية .

٤ — النظريات الدينية .

٥ — دراسات حول القرآن .

٦ — علم الكلام .

٧ — التجارب الروحية والدينية .

٨ — تاريخ حياته .

٩ — كتب مضمون بها تضم بعض آرائه الخاصة .

١٠ — دراسات أخرى متفرقة .

وقد أوصل بعض المؤلفين كتب الغزالي الى حوالي ٣٠٠ ، ويرجع في هذا الخصوص إلى كتب الغزالي نفسه وإلى بروكلمان ، وكارادوفو وبويج والسبكي والزبيدي والزركلي وجبر وسركيس والبغدادى وحاجي خليفة وغيرهم .

ومن أهم مايلفت النظر بالنسبة لمؤلفات الغزالي :

١ — غزارة الإنتاج .

٢ — تنوع الإنتاج .

٣ — الاحالة إلى كتبه .

(١) الفواص والآلء لزويمر ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢) الغزالي الرفاعي ج ١ ص ١٠٨ .

(١) الفواص والآلء لزويمر ص ١٢١

ولذلك قيل إن ما كتبه الغزالي يعرف من كتبه أكثر مما كتب عنه ،
ولا تلبث أن تقرأ كتاباً من كتب الغزالي ، حتى تعرف جملة من أسماء كتبه ،
لأنه لا يدع مناسبة لكتاب من كتبه تمر دون أن يشير فيها إلى ذلك الكتاب
ويحيل عليه (١) .

وهذا ما جعل البعض يجعل من أسباب الشك في نسبة الكتاب إليه عدم ذكره
في كتبه الأخرى ، هذا ما لاحظته بالاسيوس بالنسبة لكتاب « معارج القدس »
وجمل وات يشك فيه (٢) .

٤ — سهولة العبارة : والبعد عن التعقيد ، وعدم تقيده بقواعد البلاغة
أحياناً مما جعل البعض يضعف أسلوبه (٣) .

٥ — وضوح الأفكار وتنسيقها وتبويبها وتصنيف الموضوعات .

٦ — الاعتماد على الجدل في معرض الحاجة ٤ ولعل كتاب « الهافت » أحسن
دليل على طريقته الجدلية .

٧ — مراعاة المرتبة العقلية لمن يخاطبهم : وذلك على قاعدة « خاطبوا الناس
على قدر عقولهم » ، وكان الغزالي ماهراً في معرفته لنفسيات المخاطبين ودرجتهم
العقلية وقد صنف الناس إلى ثلاثة أنواع (٤) :

أ — عوام وهم أهل السلامة ، إليه ، وهم أهل الجنة .

ب — خواص وهم أهل الذكاء والبصيرة .

(١) الحقيقة - سليمان دنياص ٩٧

(٢) كتاب Bauyeges السابق ص ٨٧

(٣) الغزالي تيسير شيخ الأرض ص ١٧٦ وسليمان دنيا - الحقيقة ص ٩٨

(٤) الغزالي تيسير شيخ الأرض ص ١٧٨ .

(٥) القسطاس المستقيم ص ٨٦ وما بعدها .

ج - ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من
الكتاب ابتغاء الفتنة .

واسمع إليه كيف يسلك بين هؤلاء جميعاً : أما الخواص ، في أعالجهن بأن
أعلمهم الميزان القسط ، وكيفية الوزن به ، فيرتفع الخوف على قرب ، وهؤلاء
قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال :

إحداها : القريحة النافذة ، والفتنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغيرة
جبلية لا يمكن كسبها .

والثانية خلو باطنهم عن تقليد ، وتمصّب لمذهب موروث مسموع ، فإن
المقلد لا يصني والبلد وإن أصنى لا يفهم .

والثالثة : أن يعتقد في أي من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك
تعرف الحساب ، لا يمكنه أن يتعلم منك .

والصنف الثاني ، البله ، وهم جميع العوام ، وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة
لفهم الحقائق وإن كانت لهم فطنة فليس لهم داعية الطلب ، بل شغلهم
الصناعات والحرف وليس لهم داعية الجدل .

فأدعو هؤلاء إلى الله بالموعظة ، كما أدعو أهل البصيرة بالحكمة ، وأدعو
أهل الشغب بالمجادلة ...

وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فإني أدعوهم بالتلطف إلى الحق ، وأعني
بالتلطف ، ألا أتعصب عليهم ، ولا أعنفهم ، ولكن أرفق وأجادل بالتي هي أحسن
وكذلك أمر الله ورسوله ﷺ .

ومعنى المجادلة بالتي هي أحسن ، أن آخذ الأصول التي يسلمها الجدلي ، وأستنتج
منها الحق بالميزان المحقق ، على الوجه الذي أوردته في كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد »
وإلى هذا الحد .

٨ - ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن عدداً من الكتب دست على الغزالي ، كما حصل مع غيره من المشهورين في تاريخ الفكر .
ويذكر الزبيدي عدة كتب يعتبرها مدموسة عليه وهي السر المكتوم، تحسين الظنون ، النفع والتسوية (وهو المضمون الصغير) ، المضمون به على غير أهله .
وهو يشترك بالنسبة للكتاب الأخير مع ابن الصلاح الذي ينكر أن يكون هذا الكتاب له لأنه يشتمل - بزعمه - على التصريح بقدم العالم ، ونفي العلم بالجزئيات ونفي الصفات وكل واحدة من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون^(١) .
ويؤيد هذا الرأي من المحدثين الدكتور العناني وزكي المبارك^(٢) .

ويذهب الدكتور صليبا والدكتور عياد في تحقيقها لكتاب المنقذ إلى رأي محي الدين بن عربي في أن المضمون الكبير للغزالي وأما المنحول فهو المضمون الصغير أو ما يسمى « النفع والتسوية » . وللاستاذ دنيا مناقشة لطيفة حول هذا الموضوع في كتابه الحقيقة في نظر الغزالي^(٣) .
ويرجح جرجي زيدان أن التبر المسبوك مدموس على الغزالي^(٤) ، ويرى محققا المنقذ أن هذا الكتاب منحول .

ومن المؤلفات التي ثار اللغط حول نسبتها للغزالي كتاب « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » .

فقد ذكر الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه الأخلاق في الإسلام « إننا كثيراً ما أعربنا عن شكنا في نسبة معارج القدس للغزالي ، وإن كنا نجهده مذكوراً في ثبوت الكتب الصحيحة النسبة إليه ، وليس شكنا لما فيه من النقل الحرفي عن

ابن سينا ، بل لاشتغاله على غير قليل من الآراء التي تقمها على الفلاسفة ورواهم من أجلها بالابتداع إن لم تقل بأكثر من الابتداع^(١) .

ويضع بويج هذا الكتاب في قائمة الكتب التي لم يستطع أن يحدد لها فترة زمنية والتي يجب أن ينظر إلى شرعيتها بعناية^(٢) .

أما بالاسيوس فيلاحظ عدم الاحالة إلى هذا الكتاب من الغزالي ، ويعتمد وات على هذه الملاحظة فينكر نسبته له^(٣) .

ويرى الأستاذ دنيا أنه صحيح النسبة اليه للأسباب التالية :

١ - إن كثيراً من فصوله موجودة بعضها في كتب أخرى^(٤) مثل ميزان العمل ، ومعراج السالكين ، وإحياء علوم الدين .

٢ - إذا كان الاصل الذي من أجله يجعلنا نشك في نسبة الكتاب للغزالي أنه يتضمن آراء يناقض فيها آراءه في الكتب الأخرى ، فإن من طبيعة الغزالي أن يصرح في الكتب العامة برأي ، ويسجل في كتب الخاصة رأياً آخر^(٥) .

٣ - وعند الغزالي في كتاب معراج السالكين^(٦) أنه سيتناول النفس بالدراسة في كتاب خاص ، فلم لا يكون هذا الكتاب هو نفسه الذي وعد به .

٤ - اشترط في كتاب « معارج القدس » نفس ما يشترط في جواهر القرآن لكتب الخاصة^(٧) .

٥ - ذكر الغزالي هذا الكتاب في « خلاصة التصانيف » في معرض جوابه على

(١) الاخلاق في الاسلام ص ١٥٦ Bouyeges الكتاب السابق ص ٨٩

(٣) المرجع السابق . الهامش (٤) الحقيقة - دنيا ٩٤ وما بعدها .

(٥) دنيا ص ١٥٣ (٦) المراجع ص ٣٤

(٧) دنيا ص ١٥٤

(١) طبقات السبكي ج ٤ ص ١٣٤

(٢) الاخلاق عند الغزالي لزكي المبارك ص ١١٩ .

(٣) الحقيقة دنيا ص ١٠٩

(٤) مجلة الهلال مجلد ١٥ ج ٦ .

أحد تلاميذه ، فأشار عليه بقراءة كتاب « معراج القدس » والظن أنه تحريف « لمعارج القدس ».

ولابد من الإشارة إلى أن الدكتور عبد الرحمن بدوي أعاد كتاباً عن مؤلفات الغزالي بتكليف من المجلس الأعلى للآداب والفنون استعداداً لمؤتمر « الغزالي » في دمشق.

★ ★ ★

وفي ختام هذه المقدمة لا بد لي من أن أقدم جزيل الشكر وأوفره لأستاذي الجليل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، الذي كان صاحب الفضل حين أشار عليّ بأن أقوم بهذا العمل ، وفي متابعة إرشاده وتصحه .

واني لأرجو أن أكون قد أنجزت مهمتي كما أريد خدمة للمهتين بهذا الفرع من الدراسات الإسلامية ، وللمراغبين في معرفة « الغزالي » الرجل الذي قال عنه د. دبور « انه أعجب شخصية في تاريخ الإسلام ».

عبد الكريم العثمان

ذكر كلام عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي (١)

٥٢٩ هـ - ٥

قال أبو الحسن عبد الغفار بن إسماعيل الخطيب الفارسي خطيب نيسابور (٢) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، حجة الإسلام والمسلمين ، إمام أئمة الدين ، لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ، ومنطقاً وخطراً وذكاء وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس (٣) من الفقه على الإمام أحمد الرازكاني (٤) ، ثم قدم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين (٥) في طائفة من الشبان من طوس ، وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة ، وبز الأقران وحمل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ،

(١) هو عبد الغفار بن إسماعيل الخطيب الفارسي ، الحافظ أبو الحسن الفارسي ثم النيسابوري ولد سنة ٥١٥ هـ وتفق على إمام الحرمين ، وكان إماماً حافظاً أديباً صنف السباق لتاريخ نيسابور وشرح غريب مسلم . توفي سنة ٥٢٩ هـ . والكلام مأخوذ من الطبقات الكبرى للسبكي .

(٢) مدينة بخراسان نظر باقوت معجم البلدان طبعة لايبزيغ مجلد ٤ ص ٨٥٧

(٣) إحدى مدن خراسان تتألف من طابران ونوقان . انظر المرجع السابق مجلد ٣ ص ٥٦٠

(٤) هو أحمد بن محمد أبو حامد الرازكاني من قرى طوس . لم يذكر له تاريخ ونبذة انظر السبكي الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٦ الطبعة الحسينية .

(٥) هو عبد الملك الجويني الملقب بأبي العالي ، من كبار فقهاء الشافعية درس في النظامية ببغداد وسافر إلى الحجاز فترة توفي سنة ٤٧٨ هـ

وأوحد أقرانه في أيام إمام الحرمين ، وكان الطلبة يستفيدون منه ، ويُدرّس لهم ، ويرشدهم ، ويجتهد في نفسه . وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف . وكان الإمام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام ، لا يصفي نظره إلى الغزالي سراً لإبائه عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف وإن كان متخرجاً به منتسباً إليه كما لا يخفى من طبع البشر ، ولكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهراً خلاف ما يضره ثم بقي كذلك إلى انقضاء أيام الإمام .

فخرج من نيسابور وصار إلى العسكر^(١) واحتل من نظام الملك^(٢) محل القبول ، وأقبل عليه صاحب لمو درجته ، وظهور اسمه ، وحسن مناظرته وجري عبارته . وكانت تلك الحضرة محط رحال العلماء ، ومقصد الأئمة والنصحاء ، فوعدت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة وملاقة الخصوم اللد ومناظرة الفحول ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق وارتقى بذلك أكل الارتفاق حتى أدت به الحال إلى أن رسم للمصير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية^(٣) بها فصار إليها ، وأعجب الكل تدرسه ومنظرته ، ومالقي مثل نفسه ؛ وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق .

ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف ، فجدد فيه أيضاً تصانيف . وعلت

(١) عسكر نيسابور ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٦٧٧

(٢) الحسن بن علي .. نظام الملك الطوسي وزير لأب أرسلان ، ثم السلطان ملكشاه افتقرت المدارس النظامية باسمه ، وقد أنشأها لتدعيم الثقافة السنية مقابل الثقافة الفاطمية وأهم هذه المدارس : مدرسة بغداد ، مدرسة نيسابور ، مدرسة بلخ .. الخ .. قتل سنة ٤٨٥ هـ بيد أحد الباطنية .

(٣) إحدى المدارس التي أنشأها نظام الملك .

حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكر والأمرء ودار الخلافة ، فانقلب الأمر من وجه آخر .

وظهر عليه بعد مطالعة العلوم الدقيقة وممارسة الكتب المصنفة فيها وسلك طريق الزهد والتأله ، وترك الحشمة وطرح مانال من الدرجة للاشتغال بأسباب التقوى وزاد الآخرة ، فخرج عما كان فيه وقصد بيت الله وحج ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد العظيمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها ، مثل إحياء علوم الدين^(١) ، والكتب المختصرة منه ، مثل الأربعين وغيرها من الرسائل التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم . وأخذ في مجاهدة النفس ، وتدريب الأخلاق ، وتحسين الشرائع ، وتهذيب المعاش ، فانقلب شيطان الرعونة ، وطلب الرياسة والجاه ، والتخطى بالأخلاق الذميمة ، إلى سكون النفس ، وكرم الأخلاق والفراغ عن الرسوم والترتبات ، وتربا بزي الصالحين وقصر الأمل ووقف الأوقات على هداية الخلق ، ودعائهم إلى ما بينهم من أمر الآخرة وتبخيص الدنيا والاشتغال بها على السالكين ، والاستعداد للرحيل إلى الدار الباقية ، والالتقياد بكل من يتوسم فيه أو يشم منه رائحة المعونة أو التيقظ بشيء من أنوار المشاهدة حتى مرن على ذلك ولان .

ثم عاد إلى وطنه ملازماً بيته مشغلاً بالتفكير ، ملازماً للوقت ، مقصوداً تقياً وذخراً للقلوب لكل من يقصده ويدخل عليه ، إلى أن أتى على ذلك مدة ، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم تبد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا اعتراض لأحد على مأموره . حتى انتهت نوبة الورارة إلى الأجل فخر الملك^(٢) جمال الشهداء تعمد الله برحمته ، وتزينت خراسان بحشمته ودولته ، وقد سمع

(١) من أهم الكتب تأثيراً في الفكر والمجتمع الإسلاميين وسياقي الحديث عنه .

(٢) أبو المظفر علي بن نظام الملك وكان أكبر أولاده قتل سنة ٥٠٠ هـ بيد أحد الباطنية .

وتحقق بمكان النزالي ودرجته وكمال فضله وحالته وصفاء عقيدته ومعاشرته ، فتبرك
 به وحضره وسمع كلامه ، فاستدعى منه أن لا يُبقي أنفاسه وفوائده عقيمة
 لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها ، وألح عليه كل الإلحاح وشدد في الاقتراح
 الي أن أجاب الي الخروج وحمل الي نيسابور وكان الليث غائباً عن عربته ، والأمر
 خافياً في مستور قضاء الله ومكنونه ، فأشير عليه بالتدريس في المدرسة الميمونة
 النظامية عمرها الله فلم يجد بداً من الازدعان لمولاه ، ونوى باظهار ما اشتغل به
 هداية الشداة ، وإفادة القاصدين ، دون الرجوع الي ما تخلص عنه وتحرر عن رقه
 من طلب الجاه وجمارة الاقران ومكابرة المعاندين ؛ وكم قرع عصاه بالخلاف
 والوقوع فيه ، والطمع فيما بذره ويأتيه ، والسعاية به والتشنع عليه ، فما تأثر
 به ولا اشتغل بجواب الطاعنين ولا أظهر استيحاشاً بغميزة الخلطين . ولقد زرته
 مراراً وما كنت أحدث نفسي ماعدته في سالف الزمان عليه من الزعارة وإجحاش
 الناس والنظر اليهم بعين الازدراء ، والاستخفاف بهم كبراً وخيلاء ، واغتراراً
 بما رزق من البسطة في النطق والخطاط والعبارة ، وطلب الجاه والعلو في المنزلة إنه
 صار على الضد وتصفى عن تلك الكدورات . وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف
 متميم بما صار اليه . فتحققت بعد التروي والتنقير ان الأمر على خلاف المظنون
 وأن الرجل أفاق بعد الجنون ، وحكى لنا في ليال كيفية أحواله من ابتداء مظهر
 له من سلوك طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبرحه في العلوم واستطالته
 على الكل بكلامه ، والاستعداد الذي خصه الله به في تحصيل أنواع العلوم ،
 وتمكنه من البحث والنظر حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم الغريبة عن المعاملة
 وتفكر في العاقبة وما يجدي وما ينفع في الآخرة ، فابتدأ بصحبة الفارمدي^(١)
 وأخذ منه استفتاح الطريقة ، وامثل ما كان يشير به عليه من القيام بوظائف

(١) الفضل بن محمد من أهل طوس تفقه على النزالي الكبير « وهو غير أبي حامد »
 وصاحب القشري توفي سنة ٧٧٧ هـ

العبادات والامعان في النوافل واستدامة الأذكار والجد والاجتهاد طلباً للنجاة»
 الى أن جاز تلك العقبات ، وتكلف تلك المشاق وما تحصل على ما كان يطلبه
 من مقصوده . ثم حكى أنه راجع العلوم وخاض في الفنون وعادود الجسد
 والاجتهاد في كتب العلوم الدقيقة واقتفى تأويلها حتى انفتح له أبوابها ، وبقي مدة
 في الوقائع وتكافؤ الأدلة وأطراف المسائل ، ثم حكى أنه فتح عليه باب من
 الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الإعراض عما سواه حتى سهل
 ذلك وهكذا هكذا الى أن ارتاض كل الرياضة ، وظهرت له الحقائق ،
 وصار ما كنا نظن به تمسراً وتخلقاً ، طبعاً وتحققاً ، وإن ذلك أثر السعادة
 المقدرة له من الله .

ثم سألتاه عن كيفية رغبته في الخروج من بيته ، والرجوع الي مادعي
 إليه من أمر نيسابور فقال معتذراً عنه : ما كنت أجوز في ديني الى أن
 أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالإفادة . وقد حق علي أن أبوح بالحق وأنطق
 به وأدعو إليه ، وكان صادقاً في ذلك .

ثم ترك ذلك قبل أن يترك^(٢) وعاد الى بيته ، واتخذ في جواره مدرسة
 لطلبة العلم ، وخالقه للصوفية ، وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين
 من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والعمود للتدريس ، بحيث لا تخلو لحظة من
 لحظاته ولحظات من معه عن فائدة ، الى أن أصابه عين الزمان ، وضنت به
 الايام على أهل عصره ، فقله الى كريم جواره بعد مقاساة أنواع من التقصّد
 والمتأولة من الخصوم ، والسعي به الي الملوك ، وكفاه الله وحفظه وصانه من
 أن تنوشه أيدي المنكيات ، أو يتهك ستر دينه بنية من الزلات . وكانت

(١) قد تفيد هذه العبارة تحس النزالي بتغير الجو عليه في بلاط السلطان وقد يكون
 المقصود منها ، المعنى الصوفي أي انه رغب عن الدنيا والتدريس خشية التقصير في امور الآخرة

خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ، ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الاسلام ، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن يسير من الايام يستفرغه في تحصيله . ولا شك أنه سمع الاحاديث في الايام الماضية واشتغل بآخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية ، ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع ، وسائر الأنواع تخلد ذكره ، وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها أنه لم يخلف مثله بعده .

مضى الى رحمة الله يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسةائة . ودفن بظاهر قسبة طابران^(١) والله تعالى يخصه بأنواع الكرامة في آخرته ، كما خصه بفنون العلم في دنياه بمنته . ولم يعقب إلا البنات . وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً ، ما يقوم بكفائته ، ونفقة أهله وأولاده ، فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية ، وقد عرضت عليه أموال فما قبلها وأعرض عنها واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال ومنال من غيره .

ومما كان يترض به عليه وقوع خلل من جهة التحويق في أثناء كلامه .

وروجع فيه فأ نصف من نفسه ، واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى بما يحتاج اليه في كلامه ، مع أنه كان يؤلف الخطب ، ويشرح الكتب بالعبارات التي تعجز الأدباء والفصحاء عن امثالها ، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويمدروه فما كان قصده إلا الممانى وتحقيقها ، دون الالفاظ وتلفيقها .

ومما نغم عليه ما ذكر من الالفاظ المستبشرة بالفارسية ، في كتاب كيمياء السعادة^(٢)

والعلوم ، وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا يوافق مراسم الشرع ، وظاهر ما عليه قواعد الاسلام ، وكان الأولى به والحق أحق ما يقال ، ترك ذلك التصنيف والاعراض عن التشرح به ، فان العوام ربما لا يحكون أصول القواعد بالبراهين والحجج ، فاذا سمعوا شيئاً من ذلك تخيلوا منه ماهو المضر بمقائدهم ، وينسبون ذلك الى مذهب الأوائل . على ان المصنف اللبيب ، اذا رجع الى نفسه علم أن أكثر ما ذكره مما رمز اليه إشارة الشرع ، وإن لم يبح به ، ويوجد أمثاله في كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرح بها متفرقة ، وليس لفظ منها إلا وكما يشعر احد وجوهه بكلام موم فانه يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملة ، فلا يجب إذأ حمله إلا على موافق ، ولا ينبغي أن يتعلق به في الرد متعلق ، إذا أمكنه أن يبين له وجهاً في الصحة يوافق الأصول ، على أن هذا القدر يحتاج الى من يظهره ويقوم به . وكان الاولى أن يترك الافصاح بذلك كما تقدم ذكره ، وليس كل ما يتفرد ويتمشى لأحد تقديره ينبغي أن يظهره بل أكثر الاشياء فيما يدري وبطوى ولا يحكى ، فعلى ذلك درج الزنون من السلف الصالحين ، إبقاء على مراسم الشرع وصيانة الدين عن طعن الطاعنين وغيره المارقين الجاحدين والله الموفق للصواب .

وقد ثبت أنه سمع سنن أبي داود السجستاني^(٣) عن الحاكم أبي الفتح الحاكم الطوسي وما عثرت على سماعه ، وسمع من الاحاديث المتفرقة آلافاً من الفقهاء فمما عثرت عليه ماسمه من كتاب مولد النبي ﷺ من تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، رواية الشيخ أبي بكر أحمد بن الحرث الاصهاني الإمام ، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان بن المصنف ، وقد سمع^(٤) الإمام النزالي من الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الخواري خوار طابران

(١) إحدى مدينتي طوس والمدينة الاخرى نوقان . باقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٨٦

(٢) انظر فهرس الآثار المطبوعة للنزالي في نهاية الكتاب .

(٣) من كبار المشتغلين بالحديث توفي سنة ٢٧٥ هـ

مع ابنه الشيخين عبد الجبار وعبد الحميد وجماعة من الفقهاء . ومن ذلك ما قال
أخبرنا الشيخ أبو عبد الله بن محمد أحمد الخواري ، أخبرنا أبو بكر بن الجارث
الأصبهاني ، أخبرنا أبو محمد بن حيان ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم
بن إبراهيم بن المنذر الخوارزمي ، حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدثني الزبير
بن موسى ، عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان ، سأل قتات بن أشيم
الكتاني ، أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ أكبرني ، وأنا
أسن منه ، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وتام الكتاب في جزء من مسموح له .

ذكر كلام ابن عكر الدمشقي (١)

٩٤٩ - ٥٧١

أخبرنا الشيخ أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في كتابه قال :
(محمد بن محمد أبو حامد النزالي)

(.)

سمعت الشيخ الفقيه ، الإمام أبا القاسم سعد بن علي بن أبي القاسم ، بن أبي
هريرة الأسفراييني ، الصوفي ، الشافعي ، بدمشق^٣ . قال : سمعت الشيخ الامام الأوحدي
زين القراء ، جمال الحرم ، أبا الفتح عامر بن فحام بن عامر العربي الساوي ، بمكة حرسها
الله ، يقول : دخلت المسجد الحرام ، يوم الأحد ، فيما بين الظهر والعصر ، الرابع عشر من
شوال سنة خمس وأربعين وخمسة ، وكان بي نوع تكسر ودوران رأس ، بحيث
أني لا أقدر أن أقف ، أو أجلس ، لشدة ما بي . وكنت أطلب موضعاً ، استريح :

(١) هو ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله . صنف كتاب تاريخ الشام ، وتبين كذب
المفتري ، ولد سنة ٤٦٩ ، وتوفي بدمشق سنة ٥٧١ هـ .

والكلام مأخوذ من كتابه « تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الاشعري .

(٢) انظر كلام عبد الغافر ص ٤٢ - ٤٧ من الكتاب

(٣) حدثنا هذه الحكاية الامام أبو جعفر أحمد بن أبي بكر القرطبي قال سمعت الشيخ أبا
الفتح عامر بن فحام وذلك بحضرة شيخنا أبي القاسم في حين سماعنا لهذا الكتاب عليه . ومن انبت
اسمه بالسماع سمها من لفظ الشيخ أبي جعفر .

فيه ساعة على جنبي ، فرأيت باب بيت الجماعة للرباط الرامشي عند باب العزورة ، مفتوحاً ، فقصده ودخلت فيه ووقعت على جنبي الأيمن ، بحذاء الكعبة المنرفة مفترشاً يدي تحت خدي ، لكيلا يأخذني النوم ، فتنتفض طهارتي ؛ فإذا برجل من أهل البدعة ، معروف بها جاء ونثر مصلاه ، على باب ذلك البيت وأخرج لويحاً من جيبه أظنه كان من الحجر وعليه كتابة قبله ، ووضعه بين يديه ، وصلى صلاة طويلة ، مرسلاً يديه فيها على عادتهم . وكان يسجد على ذلك الويح في كل مرة ، فإذا فرغ من صلاته ، سجد عليه وأطال فيه ، وكان يمعك خده من الجانبين عليه ، ويتضرع في الدعاء ، ثم رفع رأسه قبله ، ووضعه على عينيه ، ثم قبله ثانياً ، وأدخله في جيبه كما كان . قال فلما رأيت ذلك كرهته واستوحشت منه ذلك ؛ وقلت في نفسي ليت أن رسول الله ﷺ كان حياً فيما بيننا ليخبرهم بسوء صنيعهم ، ومأم عليه من البدعة ، ومع هذا التفكير كنت أطرده النوم عن نفسي كيلا يأخذني ، فتفسد طهارتي ، فبينما أنا كذلك إذ طرأ علي النعاس ، وغلبني ، فكأنني بين اليقظة والنائم فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون ، واقفين وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد ، قد تحلقوا كلهم على شخص ، فسألت الناس عن حالهم ، وعمن في الحلقة ، قالوا هو رسول الله ﷺ وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرؤوا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله ﷺ ، ويصححوه عليه . قال فبينما أنا كذلك أنظر الى القوم ، إذ جاء واحد من أهل الحلقة ، ويده كتاب ، وقيل إن هذا الشافعي رضي الله عنه ، فدخل في وسط الحلقة ، وسلم على رسول الله ﷺ ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ ، في جماله ، وكأله ، متلبساً بالثياب البيض المنسولة النظيفة ، من العمامة والقميص وسائر الثياب ، على زي أهل التصوف ؛ فرد عليه الجواب ، ورحب به ، وقعد الشافعي بين يديه ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه ، وبعد ذلك جاء شخص آخر ، قيل هو أبو حنيفة رضي الله عنه ويده كتاب ،

فسلم وقعد بجانب الشافعي ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده ، ثم أتى بعده كل صاحب مذهب ، الى أن لم يبق إلا القليل ، وكل من يقرأ يقعد بجانب الآخر . فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كراريس غير مجلدة ، فيها ذكر عقائد الباطلة ، وهم أن يدخل الحلقة ، يقرأها على رسول الله ﷺ ، فخرج واحد عن كان مع رسول الله ﷺ ، وأخذ الكراريس من يده ، ورمها الى خارج الحلقة ، وطرده وأهانته ؛ قال فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليه شيئاً تقدمت قليلاً ، وكان في يدي كتاب مجلد ؛ فنادت وقلت يا رسول الله ، هذا الكتاب ممتقدي ، ومعتقد أهل السنة ، لو أذنت لي حتى أقرأه عليك ، فقال ﷺ ؛ وإيش ذاك ، قلت : يا رسول الله ، هو قواعد العقائد الذي صنفه الغزالي ، فأذن لي في القراءة ، فقعدت وابتدأت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول .
الفصل الأول .

في ترجمة عقيدة أهل السنة ، في كلمة الشهادة ، التي هي أحد مباني الاسلام ، فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله ، المبدئ المريد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، الي المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ؛ المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد ، بحراسة عقائدهم ، عن ظلمات التشكيك والترديد ، السابق بهم الى اتباع رسوله المصطفى ﷺ ، واقتفاء صحبه الأكرمين بالتأييد والتسديد ، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله ، بحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ؛ المعروف بإمام في ذاته أنه

(١) كتاب قواعد العقائد ذكره الغزالي في الاحياء ج ١ ص ٩ طبعة الحلبي . والغزالي في آرائه الكلامية مسارب للأشعري إلا في أمور أوضحها في كتبه الكلامية .

واحد لاشريك له ، صمد لا ضده ، منفرد لا ندله ، وأنه قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال ، موصوفاً بنبوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء ، تصرم الآباد واقرض الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والباطن والظاهر .

التنزيه : وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدد مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام ، لا في التقدير ولا بقبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ، ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثل موجود ، وليس كمثل شيء ، ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الاقطار ، ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه الارضون والسموات . وأنه استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن الماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال . لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته . وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء ، الى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيد قرباً الى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب الى العبيد من جبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد . إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام ، وأنه لا يحل في شيء ، ولا يحل فيه شيء ، تعالى أن يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان . كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان . وأنه بائن من خلقه بصفاته ، وليس في ذاته سواء ، ولا في سواه ذاته . وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لا تحله الحوادث ، ولا تهترئه الموارض ، بل لا يزال في نبوت جلاله منزهاً عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال ؛ وأنه في ذاته .

معلوم الوجود بالعقول ، مرئي الذات بالابصار ، نعمة منه ولطفاً بالأبرار ، في دار القرار ، وإتماماً للنعم بالنظر الى وجهه الكريم .

القدرة : وأنه حي قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، السموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون في قبضته . وانه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والإبداع ، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصارييف الأمور ، ولا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته .

العلم : وأنه علم بجميع المعلومات ، محيط علمه بما يجري في تخوم الأرضين الى أعلى السموات ، لا يعزب عن علمه مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر في جو الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر يعلم قديم أزلي ، لم يزل موصوفاً في أزل الآزال ، لا يعلم مجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال .

الإرادة : وأنه مريد الكائنات ، مدبر الحادثات ، ولا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسر ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، كفر أو إيمان ، إلا بقضائه أو قدره ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . لا يخرج عن مشيئته لفظة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، لا راد لحكمه ولا معقب لفضائه ، ولا مهرب لعبس عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة على طاعته ، إلا بمحبته وإرادته ، لو اجتمع

الإنس والجن ، والملائكة والشياطين ، على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته ، عجزوا عنه . وأن إرادته قائمة بذاته ، في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفاً بها ، مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها ، فوجدت في أوقاتها كما أراد في أزله ، من غير تقدم وتأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته ، من غير تبدل وتغيير . دبر الأمور لا بترتيب أفكار وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن .

السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير ، يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ، لا يحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدة وأجفان ، ويسمع من غير أصحخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لا يشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا يشبه ذاته ذات الخلق .

الكلام : وانه متكلم ، أمرناه ، واعد متوعد ، بكلام أزلي قديم ، قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء ، واصطكاك ، أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة ، أو تحريك لسان ، وأن القرآن والتورة والانجيل والزبور ، كتبه المنزلة على رسله ، وأن القرآن مقروء بالأسنة ، مكتوب بالمصاحف ، محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قديم ، قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال ، والفراق بالانتقال ، إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى عليه السلام ، سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف . كما يرى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض ، وإذ كانت له هذه الصفات ، كان حياً عالماً ، قادراً مريداً ، سميعاً بصيراً ، متكلماً بالحياة والعلم ، والقدرة والارادة ، والسمع والبصر والكلام ، لا بمجرد الذات .

الأفعال : وأنه لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله ،

على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم في أفعاله ، وعادل في أقضيته ، ولا يقاس عدله في عدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكاً ، حتى يكون تصرفه فيه ظلماً ، فكل ما سواه من جن ، وإنس ، وشيطان ، وملك ، وسماء ، وأرض ، وحيوان ، ونبات ، وعرض ، ومدرک ، ومحسوس ، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وإنشاءً ، بعد أن لم يكن شيئاً ، إذ كان في الأزل موجوداً وحده ، ولم يكن معه غيره . فأحدث الخلق بعد إظهاراً لقدرته ، وتحقيقاً لما سبق من إرادته ، وحق في الأزل من كلمته ، لا لافتقاره إليه وحاجته . وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع . والتكليف لاعن وجوب ، ومتطول بالانعام والاصلاح لاعن لزوم ، فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويتلهم بضروب الآلام والأوصاب ، ولوفعل ذلك كان منه عدلاً ، ولم يكن قبيحاً ولا ظلماً . وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق والازوم ، إذ لا يجب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب عليه حق . وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإجابه على لسان أنبيائه ، لا بمجرد العقل ، ولكنه بث الرسل ، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ، ووعدوه ووعديه ، فوجب على الخلق تصديقهم بما جاؤوا به .

معنى الكلمة الثانية : وهي شهادة الرسول ﷺ أنه تعالى ، بعث النبي الأمي القرشي ، محمداً ﷺ ، برسالاته ، إلى كافة العرب والعجم والجن والانس . قال : فلما بلغت إلى هذا رأيت الباشاة والتبسم في وجهه ﷺ ، إذ انتهت إلى نعمته وصفته ، فالتفت إلي ، وقال : أين الغزالي ، فإذا بالغزالي كأنه كان واقفاً على الحلقة بين يديه ، فقال : هاأنذا يا رسول الله ، وتقدم وسلم على

رسول الله ﷺ ، فرد عليه الجواب ، وناولته العزيزة ، والغزالي يقبل يده ، ويضع خديه عليها ، تبركاً به ، ويده العزيزة المباركة ، ثم قعد قال : فقرأت رسول الله ﷺ ، أكثر استبشاراً بقراءة أحد ، مثل ما كان بقراءتي عليه قواعد العقائد .

ثم انتهت من النوم ، وعلى عيني أثر الدمع ، مما رأيت من تلك الأحوال ، والمشاهدات والكرامات ، فانها كانت نعمة جسيمة من الله تعالى ، سيما في آخر الزمان ، مع كثرة الاهواء ، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على عقيدة أهل الحق ، ويحيينا ويعيتنا عليها ، ويحشرنا معهم ، ومع الأنبياء والمرسلين ، والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أوائك رفيقاً ، فانه بالفضل جدير ، وعلى ما يشاء قدير .

قال الشيخ الإمام أبو القاسم الإسفراييني : هذا معنى ما حكى لي أبو الفتح الساوي ، أنه رآه في المنام لأنه حكاه لي بالفارسية ، وترجمته أنا بالعربية . وتمة الفصل الأول من فصول قواعد العقائد ، الذي يتم به الاعتقاد ، لم يتفق قراءته إياه على رسول الله ﷺ ، ومن المصلحة إثباته ليكون الاعتقاد تاماً في نفسه ، غير ناقص لمن أراد تحصيله وحفظه ، بعد قوله : وإنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ ، برسائله إلى كافة العرب والعجم والجن والانس ، « ففسخ بشرعته الشرائع إلا ما قرر ، وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ، ما لم يقترن به شهادة الرسول ، وهو قول محمد رسول الله ، فالزم الخلق تصديقه ، في جميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة .

وأنه لا يتقبل إيمان عبد ، حتى يوقف بما أخبر عنه بعد الموت ، وأوله سؤال منكرو ونكير ، وهما شخصان مهيانان ، هائلان ، يقعدان العبد في قبره ، سويّاً ذاروح وجسد ، فيسألانه عن التوحيد ويقولان من ربك ، ومادينك

ومن نبيك ؟ وهما فتانا القبر ، وسؤالها أول فتنة القبر بعد الموت ، وأن يؤمن بعباب القبر ، وأنه حق وحكمة ، وعدل على الجسم والروح ، على ما يشاء .

ويؤمن بالميزان ذي الكفتين ، واللسان وصفته في العظم ، مثل أنه مثل طباق السموات والأرض ، توزن فيه الأعمال بقدره الله تعالى ، والسنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقاً لتام العدل . وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة ، في كفة النور فيثقل بها الميزان ، على قدر درجاتها عند الله ، بفضل الله تعالى ، وتطرح صحائف السيئات ، في كفة الظلمة ، فيخف بها الميزان بعذل الله تعالى .

وأن يؤمن بأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحد من السيف ، وأدق من الشعر ، تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى ، فيهوي بهم الى النار . ويثبت عليه أقدام المؤمنين ، فيساقون إلى دار القرار .

وأن يؤمن بالحوض المورود ، وهو حوض محمد ﷺ ، يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . عرضه مسيرة شهر ، مأؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان من الكوثر . ويؤمن بيوم الحساب ، وتفاوت الخلق فيه ، إلى مناقش في الحساب ، وإلى مسامح فيه ، إلى من يدخل الجنة بغير حساب . وهم المقربون ، فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من انكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الاعمال .

ويؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام ، حتى لا يبقسى بجهنم موحد بفضل الله تعالى .

ويؤمن بشفاعة الانبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، ثم سائر المؤمنين ، كل على حسب جاهه ومزلته ، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع ، أخرج

بفضل الله تعالى ، ولا يخلد في النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان في قلبه .
مثقال ذرة من الإيمان .

وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ،
أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم . وأن يحسن الظن بجميع
الصحابة ، ويثني عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله عليه السلام وعليهم أجمعين .

فكل ذلك مما وردت به الاخبار ، وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع
ذلك موقناً به ، كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رھط الضلال والبدعة .
فنسأل الله تعالى كمال اليقين ، والثبات في الدين ، لنا ولكافة المسلمين ، إنه أرحم
الراحمين . وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

ذكر كلام أبي الفرج بن الجوزي (١)

٥٩٧ هـ

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، ذكر أنه ولد سنة خمسين وأربعمائة ،
وتفقه على أبي المعالي الجويني ، وبرع في النظر في مدة قريبة ، وقاوم الأقران ،
وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع ، التي انفرد تحسن وضعها
وترتيبها ، وتحقيق الكلام فيها ، حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر
الجويني في كتابه المسمى بالمتخول^(٢) ، فقال له : « دفنتني وأنا حي ؛ هلا صبرت حتى
أموت » أراد ، أن كتابك قد غطى على كتابي .

ووقع له القبول من نظام الملك ، فرسم له التدريس بمدرسته ببغداد ، فدخل
بغداد سنة أربع وثمانين ، ودرس بها ، وحضره الأئمة الكبار ، كان عقيل ،
وأبي الخطاب ، ونعجبوا من كلامه ، واعتقدوه فائدة ، ونقلوا كلامه في مصنفاتهم .
ثم إنه ترك التدريس والرياسة ، ولبس الخام الغليظ ، ولازم الصوم ، وكان
لا يأكل إلا من أجرة النسخ ؛ وحج وعاد .

★ ★ ★

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . ابن الجوزي ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ .
والكلام من كتابه « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » مادة وفيات ٥٥٥ هـ .
(٢) من أجل . مؤلفات الغزالي . أنظر مؤلفات الغزالي في نهاية الكتاب

ثم رحل إلى الشام ، وأقام بيت المقدس ، ودمشق مدة ، يطوف
المشاهد . وأخذ في تصنيف كتاب الإحياء في القدس ، ثم أتمه بدمشق ، إلا أنه
وضعه على مذهب الصوفية ، وترك فيه قانون الفقه . مثل أنه ذكر في محو الجاه
ومجاهدة النفس ، أن رجلاً أراد محو جاهه ، فدخل الحمام ، فلبس ثياب غيره ،
ثم لبس ثيابه فوقها ، ثم خرج يمشي على مهل حتى لحقوه ، فأخذوها منه ، وسمي
سارق الحمام ؛ وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح ، لأن الفقه
يحكم بقبح هذا ، فانه متى كان للحمام حافظ ، وسرق سارق قطع ، ثم لا يحل
لمسلم أن يتعرض لأمر يأثم الناس به في حقه . وذكر أن رجلاً اشترى لحماً ، فرأى
نفسه تستحي من حمله إلى بيته ، فعلقه في عنقه ومشي ، وهذا في غاية القبح . ومثله
كثير ليس هذا موضعه .

وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) ، وأشهرت
إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بتبليس إبليس ، مثل ما ذكر في كتاب النكاح ،
أن عائشة قالت للنبي ﷺ ، أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ ، وهذا محال .
وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه ، أنه صحب الصوفية ، فرأى
حالتهم الغاية ، وقال إني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمدي وامثلت ما كان
يشير به من وظائف العبادات ، واستدامة الذكر ، إلى أن جرت تلك العقبات ،
وتكلفت تلك المشاق ، وما حصلت ما كنت أطلبه ، ثم إنه نظر في كتاب أبي
طالب المكي^(١) وكلام المتصوفة القدماء ، فاجتذبه ذلك بجره ، عما يوجب الفقه ،
وذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعة ، وما لا يصح غير قليل . وسبب
ذلك قلة معرفته بالنقل ، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف ، وإنما نقل
نقل حاطب ليل .

(١) كتاب قوت القلوب وهو من أم كتب الصوفية .

وكان قد صنف للمستظهر^(١) كتاباً في الرد على الباطنية ، وذكر في آخره
مواعظ الخلفاء . فقال : روي أن سليمان بن عبد الملك ، بعث إلى أبي حازم ، ابث
إليّ من إبطارك فبعث إليه نخالة مقلوبة فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يأكل ثم أفطر
عليها ، وجامع زوجته ، فجاءت بعبد العزيز ، فلما بلغ ، ولد له عمر بن عبد العزيز
وهذا من أقبح الأشياء لأن عمر ، ابن عم سليمان ، وهو الذي ولاه ، فقد جعله
ابن ابنه ، فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئاً ، أصلاً .

وكان بعض الناس شغف بكتاب الإحياء ، فأعلمته بميوهه ، ثم كتبه له ، فأسقطت
ما يصلح إسقاطه وزدت ما يصلح أن يزداد .

ثم إن أبا حامد عاد إلى وطنه ، مشغلاً بتعبده ، فلما صارت الوزارة إلى
فخر الملك ، أحضره ، وسمع كلامه ، وألزمه بالخروج إلى نيسابور ، فخرج ودرس
ثم عاد إلى وطنه ، واتخذ في جواره مدرسةً ورباطاً للمتصوفة ، وبني داراً حسنة
وغرس فيها بستاناً ، وتشاغل بحفظ القرآن ، وسمع الصحاح ؛ سمعت إسماعيل بن علي
الموصلي^(٢) الواعظ ، يحكي عن أبي منصور الرزاز^(٣) ، الفقيه ، قال دخل أبو
حامد بغداد فقومنا ملبوسه ومركوبه خمسمائة دينار ، فلما ترهد وسافر ، وعاد
إلى بغداد ، فقومنا ملبوسه خمسة عشر قيراطاً . وحدثني بعض الفقهاء عن أبو شروان
وكان قد وزر للخليفة ، أنه زار أبا حامد النزال فقال له أبو حامد : زمانك محسوب عليك ،

(١) هو العباس أحمد المستظهر بالله بوبيع بالخلافة بعد المعتدي سنة ٤٨٧ هـ واستمر إلى
أن توفي سنة ٥١٢ هـ .

(٢) أبو الفداء الواعظ الشافعي مات بالموصل سنة ٥٩٢ هـ .

(٣) سعيد بن محمد .. الرزاز من كبار أئمة بغداد ولد سنة ٤٦٢ هـ تلقه على الفزالي وغيره
ودرس بالنظامية . توفي سنة ٥٣٩ هـ .

وأنت كالمستأجر ، فتوفرك على ذلك أولى من زيارتي . فخرج أنو شروان وهو يقول لا إله إلا الله ، هذا الذي كان في أول عمره يستزيدني فضل لقب في ألقابه كان يلبس الذهب والحريز ، فآل أمره إلى هذا الحال .

توفي أبو حامد يوم الاثنين ، رابع عشر جمادى الآخرة ، من هذه السنة ، بطوس ، ودفن بها وسأله قبيل الموت بعض أصحابه أوصني ! فقال: عليك بالاخلاص فلم يزل يكررها حتى مات .

ذكر كلام ياقوت الحموي (١)

٦٢٦ هـ

وأما الغزالي أبو حامد ، فهو الامام المشهور ، صاحب التصانيف التي ملأت الارض طولاً وعرضاً قرأ على أبي المعالي الجويني ودرس بالنظامية بعد أبي اسحق ، ونال من الدنيا أربه ثم انقطع إلى العبادة ، فحجج الى بيت الله الحرام ، وقصد الشام وأقام بالبيت المقدس مدة . وقيل إنه قصد الاسكندرية وأقام بمنارتها ، ثم رجع إلى طوس ، وانقطع إلى العبادة ، فأزيمه فخر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور ، فامتنع ، وقال أريد العبادة ، فقال لا يحل لك ان تمتنع المسلمين الفائدة منك ، فدرس .

ثم ترك التدريس ، ولزم منزله بطوس ، حتى مات بالطبران منها ، في رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة ٥٠٥ هـ ودفن بظاهر الطبران ، وكان مولده سنة ٤٥٠ هـ . ورثاه الأديب الأبيوردي (٢) فقال :

بكي على حجة الاسلام حين ثوى من كل حي عظيم القدر أشرفه

★ ★ ★

(١) من كتابه معجم البلدان مادة طوس .

(٢) الأبيوردي : محمد بن احمد ابو المظفر شاعر ونسابة ولد في ابيورد . توفي مسموماً بأصفهان سنة ٥٠٧ هـ .

وما لمن يجتري في الله عبرته علي أبي حامد لاح يعنفه
تلك الرزية تستهوي قوى جلدي والطرف تسده والدمع تنزفه
فاله خلة في الزهد منكرة ولاله شبه في الخلق تعرفه
مضى وأعظم مفقود فجعت به من لانظير له في الخلق يخلفه

ذكر كلام ابن خلكان (١)

٥٦٨١

★ ★ ★

لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ، اشتغل في مبدأ أمره بطوس .
على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف الى دروس إمام الحرمين أبي
المعالي الجويني ، وجد في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان .
المشار اليهم في زمن أستاذه ، وصنف في ذلك الوقت . وكان أستاذه يتبجح به .
ولم يزل ملازماً له ، الى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من
نيسابور إلى العسكر ، ولقي الوزير ، نظام الملك ، فأكرمه وعظمه ، وبالغ في
الاقبال عليه . وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل ، فجرى بينهم الجدل
والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت بذكره الركبان .
ثم فوض اليه التدريس بمدرسته النظامية ببغداد ، فجاءها وبأثر إلقاء الدروس
بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وأعجب به أهل العراق
وارتفعت عندهم منزلته .

ثم ترك جميع ما كان عليه ، في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وسلك
طريق الزهد والانتقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع ، توجه الى الشام ، فأقام بمدينة .

(١) من كتابه «وفيات الأعيان» .

دمشق مدة ، بدأ كالدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه ، وانتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع العظيمة .

ثم قصد مصر ، وأقام بالاسكندرية مدة ، ويقال إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين^(١) صاحب مراکش ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية .

ثم عاد إلى وطنه بطوس ، واشتغل بنفسه ، وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ماهو أشهرها : كتاب الوسيط ، والسيط ، والوجيز ، والخلاصة في الفقه ومنها إحياء علوم الدين ، وهو من أنفس الكتب وأجلها ، وله في أصول الفقه المستقصى ، فرغ من تصنيفه في سادس المحرم سنة ثلاث وخمسمائة ، وله : المنحول ، والمتحل ، في علم الجدل ، وله تهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، وميعار العلم ، والمقاصد ، والمضنون به على غير أهلهم ، والمقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى ، ومشكاة الانوار ، والمنقذ من الضلال ، وحقيقة القولين ، وكتبه كثيرة وكلها نافعة .

ثم أئزم بالعود إلى نيسابور ، والتدريس بها بالمدسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المآودات . ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خاتمه للصوفية ومدسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير ، من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، إلى أن انتقل إلى ربه .

(١) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين أمير المسلمين اختط مدينة مراکش بالغرب وتوفي سنة ٥٥٠ هـ .

ويروى له شعر ، فمن ذلك مانسبه إليه الحافظ أبو سعد السمعاني^(١) في الذيل وهو قوله :

حلت عقارب صدغه في خده قرأ فجلبها عن التشبيه
بولقد عهدناه يحل يبرجها فمن العجائب كيف حلت فيه
ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره ، والله أعلم .
ونسب إليه العماد الاصبهاني^(٢) هذين البيتين وهما :

هني صبوت كما ترون بزعمكم وحظيت منه بلثم خد أزهر
إني اعتزلت فلا تلوموا أنه أضحي يقابلني بوجهه أشعر
ونسب إليه البيتين اللذين قبلهما .

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين ، وتوفي يوم الاثنين ، رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة خمس وخمسمائة ، بالطايران ، رحمه الله تعالى .

ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الايوردي الشاعر المشهور ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى بأبيات فائقة من جملتها :

مضى وأعظم مفقود فجعت به من لانظير له في الناس يخلفه
وتمثل الامام اسماعيل الحاكي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة :
عجبت لصبري معدد وهو ميت وكنت امراً أبكي دماً وهو غائب

(١) أبو سعد أو أبو سعيد عبد الكريم بن أبي محمد التميمي السمعاني المرزوي له عدد من المؤلفات أهمها : تذييل تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب ، وكتاب الانساب توفي بمرور سنة ٥٦٢ هـ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن صفى الدين فقيه شافعي وأديب ، من أم مؤلفاته : البرق الشامي والجزيرة ، توفي سنة ٥٩٧ هـ .

على أنها الأيام قد صرنت كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

دفن بظاهر الطابران ، وهي قصبة طوس ، وقد تقدم الكلام على الطوسي
والفزالي ، في ترجمة أخيه أحمد الزاهد ، والواعظ ، المذكور في حرف الهمزة ،
والطابران بفتح الطاء المهملة ، والباء الموحدة ، وراء مهملة ، وبعد الألف الثانية
نون . وهي إحدى بلدي طوس كما تقدم في ترجمة أحمد أيضاً .

ذكر كلام الذهبي (١)

٧٤٨ هـ

الشيخ ، الإمام البحر ، حجة الاسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين ،
أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الفزالي ، صاحب
التصانيف ، والذكاء المفرط . تفقه ببلده أولاً ، ثم تحول الى نيسابور في
مرافقة جماعة من الطلبة ، فلزم لإمام الحرمين ، فبرع في الفقه في مدة قريبة ،
ومهر في الكلام والجدل ، حتى صار عين الناظرين ، وأعاد للطلبة ، وشرع في
التصنيف ، فما أعجب ذلك شيخه أبا المعالي ، ولكنه مظهر للتبجح به .

ثم سار أبو حامد الى الخيم السلطاني ، فأقبل عليه نظام الملك الوزير ، وسر
بوجوده ، وناظر الكبار بحضرتة ، فأنهر له ، وشاع أمره ، فولاه النظام
تدريس نظامية بغداد ، فقدمها بعد الثمانين وأربعمائة ، وسنه نحو الثلاثين ،
وأخذ في تأليف أصول الفقه ، والكلام ، والحكمة ، وأدخله سيلان ذهنه في
مضائق الكلام ، ومزال الأقدام ، ولله سر في خلقه . وعظم جاه الرجل

★ ★ ★

(١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد التركاني الدمشقي ولد سنة ٥٧٣ هـ وتوفي
سنة ٧٤٨ هـ بدمشق اشتهر بالحديث خاصة . وله تلاميذ أكثر منهم السبكي صاحب الطبقات
الشافعية . ومؤلفاته عديدة . والكلام مأخوذ من كتابه « سير أعلام النبلاء » بخطوط بدار
الكتب المصرية . يحققه الآن الدكتور صلاح الدين المنجد وقد أخرج منه مجلدين حتى الآن .

ومجاهدة النفس على الخشوع ؛ فإن يأتي فيها ونعمت ، ولا تترك . لخشوع المتابعة السنة خشوع خير من الخشوع الحاصل مع الانفراد ؛ فتأمل ذلك ، فهو حس دقيق ، وحاصله أن السنة وإن وقعت ناقصة ، وهي الجماعة بلا خشوع ، خير من لا سنة بالكلية ، وإن وقع فيها سنة أخرى وهي الخشوع . وقد ادعى بعض محبي الخلوة ، ترك الجماعة لمثل ذلك ، وذلك عندنا أمر منكر ، بل خروجه إلى الجماعة ، وإن كانت سنة ساعة ، خير له من ألف ساعة مع ترك السنة ، وإن دقق مدقق وقال : لا نسلم ثبوت السنة ؛ فهو محجوج بالظواهر الدالة على طلب الجماعة على الإطلاق ، من غير فرق بين خاشع ومشتت .

السنة بعد صلاة الجمعة قال ابن الصلاح : من مفردات الغزالي أنه ذكر في « بداية الهداية » في سنة الجمعة بعدها ، أن له أن يصليها ركعتين ، وأربعاً ، وستاً . فابعد في ست وشذ ؛ قال النووي : روى الشافعي بإسناده ، في كتاب علي ، وابن مسعود ، عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : من كان منكم مصلياً بعد الجمعة ؛ فليصل بعدها ست ركعات . قلت : وهذا المروي عن علي كرم الله وجهه ، محكي عن أبي موسى الأشعري ، وعطاء ، ومجاهد ، وحيد بن عبد الرحمن ، وسفيان الثوري ، ورواية عن أحمد ، وأغرب صاحب الكافي ، فقال فيه : الأفضل أن يصلي بعدها ستاً أخذاً بالأكثر ، فركعتين ، ثم أربعاً بسلام واحد . انتهى لفظ الخوارزمي في الكافي .

ذكر كلام ابن الملقن (١)

٧٩٠ هـ

محمد ، بن محمد ، بن محمد ، زين الدين ، حجة الاسلام ، أحمد الأئمة ، ولد بطوس ، سنة خمسين وأربعمائة ، سنة مات المازري ، وأبو الطيب الطبري (٢) . وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، وكان اشتغاله أولاً بطلب القوت ، لما نفذ ما خلفه أبوه ، قال الغزالي : طلبنا العلم لئلا نلجأ إلى الله ، ويحكي أن أباه كان يجالس المتفقه ، ويسأل الله أن يرزقه ابناً فقيهاً ؛ ويجالس الوعاظ ، ويسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً ، فاستجيب له في محمد ، واحمد .

اشتغل على الامام (٣) وغيره ، وكان الامام ينحصر من تصانيفه « وأنه لما صنف المنحول عرضه عليه فقال دفتني وأنا حي ، فبلا صبرت حتى أموت ، لأن كتابك غطى على كتابي . ولي تدريس النظامية ، ثم خرج عما هو فيه إلى طريق التصوف ، واستوطن دمشق عشر سنين (٤) ، وصنف الإحياء واجتمع

(١) هو سراج الدين ابو مصطفى عمر بن العلامة ابو الحسن علي النحوي . المتوفى سنة ٧٩٠ هـ . والكلام هنا من « طبقات الشافعية » مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) ولد ابو الطيب بآمد سنة ٣٤٨ وتوفي سنة ٤٠٠ هـ وكان فقيهاً مناظراً .

(٣) يعني الجويني .

(٤) وردت في الاصل « عشرين سنين » وهو خطأ في النقل ظاهر .

بالشيخ نصر المقدسي ، ثم انتقل إلى القدس ، ثم إلى مصر والاسكندرية ، ثم عاد إلى طوس .

وكان جامعاً للفنون ، وصنف فيها ، إلا النحو فإنه لم يكن بذاك ، وإلا الحديث فإنه كان يقول أنا مزجي البضاعة منه . ثم طلب إلى تدريس نظامية نيسابور فأجاب محتسباً فيه الخير ، والافادة ، ونشر العلم ، فأقام مدة على ذلك ثم تركه ، وأقبل على لزوم داره ، وابتنى خانقاه إلى جواره ، ولزم تلاوة القرآن والاشتغال بالحديث ، فسمع البخاري ، وبعض سنن داود ، ولو طالت مدته لبرز فيه ، لكن عاجلته المنية ، فمات سنة خمس وخمسين ، عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بمقبرة الطابران .

ومن مصنفاته المشهورة : البسيط والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والإحياء ، وعاية القور في دراية الدور ، والمستصفي ، والمنحول ، واللباب ، وبداية الهداية ، ومنهاج العابدين ، وكيمياء السعادة ، وتحصين المآخذ وغيرها . وقد تكلم في الإحياء جماعة ، منهم : أبو بكر بن العربي ، والمازري ، والطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد ، وقد أوضحت ترجمته في كتاب «تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الأخبار» فسارع إليه ترشد وبالله التوفيق .

ومن شعره ما أنشد السمعاني في ذيله :

حلت عقارب صدغه في خده ،

وله أيضاً : أنشده الأصهباني في الخريدة :

هني صبوت كما ترون بزعمكم

١٢١

ذكر كلام الحسيني (١)

٨٥٥ هـ

قوفي يوم العيد الأضحى من هذه السنة ، ودفن بباب حرب ببغداد ، الغزالي . أبو حامد ، محمد بن محمد ، بن أحمد ، الغزالي ، الملقب حجة الاسلام ، زين الدين ، الطوسي ، الفقيه الشافعي ، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله .

اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى درس الامام ، وصبر في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من أعيان المشار إليهم في زمن استاذة ، وصنف في ذلك الوقت ، ولم يزل ملازماً له إلى أن مات في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور الى العسكر ، ولقي نظام الملك ، فأكرمه ، وعظمه ، وبالع في الاقبال عليه ، وكان يحضر الوزير جماعة من الافاضل ، وجرى بينهم الجدل ، والبحث ، والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت باسمه الركبان ، ثم فوض إليه الوزير تدريس النظامية ببغداد ، فجاءها ، وبأثر القاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعجب به أهل العراق ،

(١) هو الحافظ بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد المروزي بالمعني الحنفي ولد سنة ٧٦٢ وتوفي سنة ٨٥٥ هـ . والكلام هنا من كتابه « عقد الجمان » مخطوط بدارالكتب المصرية في مادة وفيات سنة ٥٠٥ .

« وارتفعت عندهم منزلته »، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وسلك طريق التزهد والانتقطاع، وقصد الحج، فلما رجع، توجه إلى الشام، فأقام بدمشق مدة، يذكر الدروس في زاوية الجامع، في الجانب الغربي منه، انتقل منها إلى بيت المقدس، واجتهد في العبادة، ثم قصد مصر، وأقام بالاسكندرية مدة، ويقال انه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب، على عزم الاجتماع بالامير يوسف بن تاشفين، صاحب مراکش، فبينما هو كذلك، اذ بلغ إليه نبي يوسف المذكور، فصرف عزمه عن تلك الناحية، ثم عاد الى وطنه بطوس، واشتغل بنفسه.

وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون، منها ما هو أشهرها : الوسيط واليسيط، والوجيز، والخلاصة، في الفقه. ومنها احياء العلوم، وهو من أنفس الكتب وأجلها، وله في أصول الفقه المستصفى، والنيحول، والمنتحل في علم الجدل، وله تهافت الفلاسفة، ومحك النظر، ومعيار العلم، وغير ذلك. ثم ألزم بالعود إلى نيسابور بالمدرسة النظامية، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودة، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه، واتخذ خانقاه للصوفية، ومدرسة للمستقلين في العلم في جوارحه، ووزع أوقاته على وظائف الخير، من ختم القرآن، ومجالسة أهل القلوب، والقعود للتدريس، الى أن انتقل الى ربه الكريم.

ويروى له شعر، فمن ذلك مانسبه اليه الحافظ أبو سعد السمعاني، في الذيل :

حلت عقارب صدغه في خده قرأ فجلى بها عن التشبيه
ولقد عهدناه بحمل بروجها فمن العجايب كيف حلت فيه

وذكر ابن الجوزي في منتظمه، وقال : صنف الكتب الحسان في الاصول،

« والفروع » (١)

(١) انظر الكتاب من ٥٩ - ٦١ .

وكان بعض الناس يشتغل بكتاب الاحياء فأعلمته بعبوبه فأصلحت ما يصلح أنسقاطه وزدت ما يصلح أن يزداد.

وقال ابن كثير وكتاب الاحياء كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، ومزوجة بأشياء لطيفة من التصوف، وأعمال القلوب. ولكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات، وفيها ما هو موضوع، كما يوجد في غيره من كتب الفروع، التي يستدل بها على الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرقايق، والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره.

هذا وقد شنع عليه ابن الجوزي، ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً، وقد كان الغزالي يقول أنا مزجي البضاعة في الحديث، ويقال إنه مال في آخر عمره، الى سماع الأحاديث، والحفظ للصحيحين.

وفي المرأة^١ : وسمع حديث صحيح البخاري، من أبي سهل محمد بن عبد الله الحفصي. وكتب إماماً في الفقه مذهباً وخلاقاً.

وقال ابن خلكان وكانت ولادة الغزالي في سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة.. بالطابران ودفن بظاهرها، وهي قسبة طوس، وهي بفتح الطاء، والباء الموحدة بينها ألف ساكنة وبالراء المفتوحة بعدها ألف، وفي آخرها نون. وهي إحدى بلدي طوس، بضم الطاء المهملة، وسكون الواو، وبالسین المهملة، وهي ناحية بخراسان، تشتمل على مدينتين : احدها طابران، والأخرى نوقان، بفتح النون، وسكون الواو، وفتح القاف وبعد الألف نون. ولها ما يزيد على ألف قرية. والغزالي نسبة، على عادة أهل خوارزم وجرجان، فانهم ينسبون الى القصار والمطائر، فقالوا العطاري والقصاري، وقيل إن الزاي مخففة، نسبة الى غزالة من قرى طوس، قالوا وهي خلاف المشهور وأنا أقول : ينبغي أن يكون هو المشهور والله أعلم.

(١) المقصود «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي مرت ترجمته.

وفي تاريخ بيبرس ، وقيل إنه دخل بغداد ، فقُومَ ملبوسه ، ومركوبه ،
بخمسة عشر قيراطاً ، وسأله بعض أصحابه قبيل الموت ، اوصني ، فقال : عليك
بالاخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات . وحكى أخوه أحمد ، قال : لما كان يوم
الاثنين وقت الصباح ، توضأ أخي أبو حامد ، وصلى وقال : علي بأكفاني ،
فأخذها ، وقبلها ، وتركها على عينيه ، وقال سماً وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد
رجليه ، واستقبل القبلة ، ومات قبل الاسفار ، ولبعضهم فيه شعري ذكر فضائله ،
وبعض تصانيفه ، في الفقه والمذهب وهو شاب :

شيد المذهب حيزاً أحس الله خلاصه
بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

★ ★ ★

ذكر كلام الزبيدي (١)

١٢٠٥ هـ

الحمد لله الذي أحيا بذكره قلوب عباده العارفين ، وأماط عن بواطنهم حجب
الخفاء ، فقاموا لآحياء علوم الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد
الاولين والآخرين ، وصفوة الانبياء والمرسلين ، وقائد الفر المحجلين وخلاصة الله
من خلفه أجمعين ، وعلى آله السادة الاكرمين ، وأصحابه الفر الميامين ، وأتباعهم
بإحسان الي يوم الدين . وبعد فهذه تقريرات شريفة ، وتحريرات خفيفة ، امليتها
على كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى حين
سئلت في اقراءه

. (٢)

وهذا بيان الكتب (٣) : التي منها أخذت ، وعنهما بلا واسطة نقلت واستفدت .

(١) هو ابو الفيض محمد بن محمد المعروف بالمرتضى الزبيدي ولد في زييد باليمن سنة
١١٤٥ وانتقل الى القاهرة وتوفي فيها . والكلام هنا من مقدمة كتابه الكبير « انخاف
السادة المتقين بشرح اسرار لحياء علوم الدين » .

(٢) لم أثبت المقدمة كلها وإنما اقتصر على بعض المواضع التي لها علاقة بموضوع الكتاب
أكثر من غيرها .

(٣) أثبت هذا الفصل لأهميته للباحث الذي يريد الرجوع الى المصادر التي اعتمد الزبيدي
عليها في شرحه للاحياء .

الترتيب الزمني لمؤلفات الغزالي^(١)

- ١ - المرحلة الاولى (من ٤٦٥ - ٤٧٨ هـ) أي قبل وفاة إمام الحرمين :
- ١ - التليقة في فروع المذهب
- ٢ - المنحول في أصول الفقه

★ ★ ★

- ٢ - المرحلة الثانية (من ٤٧٨ - ٤٨٨ هـ) :

٣ - البسيط

٤ - الوسيط

٥ - الوجيز

٦ - خلاصة المختصر وتقاوؤ المتصر، أو الخلاصة في الفقه

٧ - المتحل في علم الجدل

٨ - مآخذ الخلاف

٩ - لباب النظر

١٠ - تحقيق المآخذ

١١ - المباديء والغايات

١٢ - شفاء الغليل

١٣ - فتوى (لابن تاشفين) - ٤٨٤ -

١٤ - الفتوى التيزيدية

١٥ - غاية النور في دراية الدور (في المسألة السريحية) - ٤٨٤ -

(١) أكثره مستقى من كتاب بويج.. Essai de chronologie وهو يذكر هنا الكتب التي تحقق من تاريخ تأليفها ويشير الى باقي تصانيف الغزالي التي لم يتحقق من فترتها الزمنية تماماً

١٦ - تهافت الفلاسفة - ٤٨٨ -

١٧ - مقاصد الفلاسفة - ٤٨٧ -

١٨ - معيار العلم « بعد التهافت » وقبل سفره إلى دمشق

١٩ - معيار العقول ٤٨٧ - ٤٨٨ -

٢٠ - محك النظر في المنطق (٤٨٧ - ٤٨٨) ويذكر المذهبي أنه ألفه بدمشق.

٢١ - ميزان العمل (٤٨٧ - ٤٨٨) يخالف ذلك سليمان دنيا في كتابه الحقيقة عند الغزالي ويرى أنه ألف هذا الكتاب في آخر حياته .

٢٢ - المستظري - ٤٨٨ -

٢٣ - حجة الحق =

٢٤ - الاقتصاد في الاعتقاد - ٤٨٨ - (يخالف حنا فاخوري و خليل الجر

في كتاب الفلسفة العربية فيريان انه ألفه عام - ٤٨٩ -

٢٥ - الرسالة القدسية في العقائد - ٤٨٨ - ٤٨٩ -

٢٦ - المعارف العقلية والأسرار الالهية - ٤٧٨ - ٤٨٩ -

٢٧ - قواعد العقائد - ٤٨٨ - ٤٨٩ -

★ ★ ★

٣ - المرحلة الثالثة « مرحلة العزلة » (من ٤٨٨ - ٤٩٩)

٢٨ - إحياء علوم الدين بين ٤٨٩ و ٤٩٥

٢٩ - كتاب في مسألة كل مجتهد مصيب. كتبه في دمشق

٣٠ - جواب (الغزالي على مؤيد الملك بشأن دعوته للتدريس في نظامية

بغداد ٤٩٤)

٣١ - مفصل الخلاف

٣٢ - جواب المسائل الأربع التي سألتها الباطنية بهمدان

٣٣ - المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى - بين ٤٩٠ - ٤٩٥ كما يروي صاحباً الفلسفة العربية -

٣٤ - رسالة في رجوع أسماء الله الى ذات واحدة على رأي المعتزلة والفلاسفة
٣٥ - بداية الهداية (يحدد صاحباً الفلسفة العربية وقت تأليفه بين ٤٩٠-٤٩٥)
٣٦ - الوجيز في صَفَر ٤٩٥

٣٧ - جواهر القرآن - ٤٩٥ - ٤٩٨ -

٣٧ - الأربعين في أصول الدين - وهو قسم من الجواهر كتبه في طوس بعد عودته
٣٩ - المضمون به على غير أهله - يرى ماسينيون ان المضمونين كتباً
بين ٤٩٥ - ٥٠٥ -

٤٠ - المضمون الصغير

٣١ - كتاب الدرج المرقوم بالجداول - بين الجواهر والقسطاس -
٤٢ - القسطاس المستقيم - ٤٩٧ -

٤٣ - فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ٤٩٧

٤٤ - القانون الكلي في التأويل

٤٥ - كيمياء السعادة (بعد الجواهر) - يحدد ماسينيون وقت تأليفه
بين ٤٩٠ - ٤٩٥ -

٤٦ - أيها الولد - يرى صاحباً الفلسفة العربية أنه ألفه في نيسابور سنة ٥٠٠ -

٤٧ - نصيحة الملوك - بعد عودته من الشام ٤٩٨ - ٤٩٩ -

٤٨ - زاد آخرة (فارسي)

٤٩ - رسالة الى أبي الفتح أحمد بن سلامة بالموصل - قبل ٥٠٠ -

٥٠ - الرسالة اللدنية

٥١ - رسالة إلى بعض أهل عصره

٥٢ - مشكاة الأنوار - قبل ٥٠٠ -

٥٣ - تفسير ياقوت التأويل

٥٤ - الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين - حوالي ٤٩٠ -

٥٥ - تلبس إبليس - إن صح أنه له - بعد الاحياء

★ ★ ★

٤ - المرحلة الثانية من التعليم - بين ٤٩٩ - ٥٠٣ -

٥٦ - المنقذ من الضلال ٥٠١ - ٥٠٢

٥٧ - في عجائب الخواص

٥٨ - غاية الغور

٥٩ - المستصفى من علم الأصول (٦ محرم ٥٠٣ في نيسابور كما يروي ابن الاثير)

٦٠ - سر العالمين وكشف ما في الدارين

٦١ - الاملاء على الاحياء - في نيسابور ٥٠٣ -

★ ★ ★

٥ - السنوات الأخيرة : - من ٥٠٣ - ٥٠٥ -

٦٢ - الدرّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة

٦٣ - الجام العوام عن علم الكلام - بين ٥٠٤ - ٥٠٥

٦٤ - منهاج العابدين (يقول محي الدين بن العربي إنه لابي الحسن على المسفر

السبتي) والمستشرقون ينقسمون في نسبة هذا الكتاب له الى مؤيدين في نسبته له
مثل جاردنر، وجوش، وأسين بالاسيوس، ودوبور، وشاكين في هذه النسبة
مثل ماسينيون^(١).

(١) يرى ماسينيون ان كتاب منهاج العابدين كتب بين ٤٩٢ - ٤٩٥ ويرى كارادوفو في كتابه رأي بويج أنه كتبه آخر حياته .

ولم يشر ماسينيون الى مدارج السالكين الذي يرى صاحباً الفلسفة العربية أنه كتبه في هذه
المرحلة بين ٥٠٤ - ٥٠٥ .